أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ
غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا
وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى: {أَفَرَءَيْتَ }

الرجل الضال

{مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ}

فما هويه سلكه سواء كان يرضي الله أو يسخطه.

فائدة من القول المفيد

{وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ}

من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية ولا يزكو عليها.

***أضله الله لعلمه انه يستحق ذلك

أضله الله بعد بلوغ العلم اليه و قيام الحجة عليه

{وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ }

فلا يسمع ما ينفعه،

{وَقَلْبِهِۦ }

فلا يعي الخير

{وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً}

تمنعه من نظر الحق

{فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ}

أي: لا أحد يهديه و قد سد الله عليه أبواب الهداية

و فتح له أبواب الغواية،

و ما ظلمه الله و لكن هو الذي ظلم نفسه و تسبب لمنع رحمة الله عليه

{أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}

ما ينفعكم فتسلكونه وما يضركم فتجتنبونه.

***كقوله { مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأعراف: 186]

{وَقَالُوٓاْ}

أي: منكرو البعث

{مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ}

*الميسر:وما يهلكنا إلا مرُّ الليالي والأيام وطول العمر

–أي: إن هي إلا عادات و جري على رسوم الليل و النهار يموت أناس و يحيا أناس– و ما مات فليس براجع إلى الله و لا مجازى بعمله.

و قولهم هذا صادر عن غير علم

{ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}

فأنكروا المعاد و كذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك و لا برهان.

إن هي إلا ظنون واستبعادات خالية عن الحقيقة

*** صحيح البخاري

4826 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَ أَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ

الصحيح المسند من أسباب النزول

عن أبي هريرة عن النبي ﷺقال:

كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار

و هو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله في كتابه:

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}

قال فيسبون الدهر،

فقال الله تبارك وتعالى "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر،

و أنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار".

ولهذا قال تعالى:

{ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}

و هذا جراءة منهم على الله،

حيث اقترحوا هذا الاقتراح

و زعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآبائهم،

و أنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا،

و هم كذبة فيما قالوا

و إنما قصدهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق،

قال تعالى:

{ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ }

و إلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم، لعملوا له أعمالا و تهيئوا له.

وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾

وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ

يخبر تعالى عن سعة ملكه و انفراده بالتصرف و التدبير في جميع الأوقات

و أنه {وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ }

و يجمع الخلائق لموقف القيامة يحصل الخسار على المبطلين الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق،

و كانت أعمالهم باطلة لأنها متعلقه بالباطل فبطلت في يوم القيامة،

اليوم الذي تستبين به الحقائق،

و اضمحلت عنهم و فاتهم الثواب و حصلوا على أليم العقاب.

ثم وصف تعالى شدة يوم القيامة وهوله ليحذره العباد ويستعد له العباد

فقال: {وَتَرَىٰ }

أيها الرائي لذلك اليوم

{كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً }

على ركبها خوفا وذعرا وانتظارا لحكم الملك الرحمن.

*سنن الترمذي ت شاكر2382-

عن عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، .....فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِﷺ:

" أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَ كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ،

فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ.....

{كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا}

أي: إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله،

و هل قاموا بها فيحصل لهم الثواب و النجاة؟

أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟

فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى و أمة عيسى كذلك و أمة محمد كذلك،

و هكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به،

هذا أحد الاحتمالات في الآية و هو معنى صحيح في نفسه غير مشكوك فيه،

و يحتمل أن المراد بقوله: {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا}

أي: إلى كتاب أعمالها و ما سطر عليها من خير و شر

(ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

و أن كل أحد يجازى بما عمله بنفسه

كقوله تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا}

و يحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية

و يدل على هذا قوله:{هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ}

أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل،

{إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}

فهذا كتاب الأعمال.

و لهذا فصل ما يفعل الله بالفريقين

*الميسر:إنّا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم.

فقال:{فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ}

إيمانا صحيحا و صدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة من واجبات و مستحبات

{فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ}

التي محلها الجنة و ما فيها من النعيم المقيم و العيش السليم،

{ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ }

أي:المفاز و النجاة و الربح و الفلاح الواضح البين الذي إذا حصل للعبد حصل له كل خير ور اندفع عنه كل شر.

***صحيح البخاري

4850 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:-

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ" تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَ النَّارُ،

فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ المُتَجَبِّرِينَ،

وَ قَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَ سَقَطُهُمْ

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ:-

أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي،

وَ قَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي،

وَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا،

فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ

فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَ يُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ،

وَ لاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا،

وَ أَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا "( )

(تحاجت) تخاصمت و الله تعالى أعلم بذلك التخاصم.

{ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ }

بالله فيقال لهم توبيخا و تقريعا:

{أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ}

وقد دلتكم على ما فيه صلاحكم و نهتكم عما فيه ضرركم

و هي أكبر نعمة وصلت إليكم لو وفقتم لها،

{ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ }

و لكن استكبرتم عنها و أعرضتم و كفرتم بها فجنيتم أكبر جناية

(وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ)

و أجرمتم أشد الجرم فاليوم تجزون ما كنتم تعملون.

و يوبخون أيضا بقوله:

{ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم}

منكرين لذلك:

{مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا }

* وما نتوقع وقوعها إلا توهماً:الميسر

(أوثرت) اختصصت.

(المتجبرين) جمع متجبر وهو المتعاظم بما ليس فيه والذي لا يكترث بأمره.

(سقطهم) الساقطون من أعين الناس والمحتقرون لديهم لفقرهم وضعفهم وقلة منزلتهم.

(من أشاء) ممن استحق العقوبة واكتسب أسبابها

(وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ)

*الميسر:و ما نحن بمتحققين أن الساعة آتية

فهذه حالهم في الدنيا وحال البعث الإنكار له و رد قول من جاء به

*جاء في القول المفيد:

لأن تحقيق التوحيد يستلزم اجتناب المعاصي

لأن المعاصي صادرة عن الهوى،

و هذا نوع من الشرك،

قال تعالى:{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ }سورة الجاثية23.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا
نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ
ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

{ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا}

أي: وظهر لهم يوم القيامة عقوبات أعمالهم،

{وَحَاقَ بِهِم } أي: نزل

{مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ}

أي: نزل بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به وبوقوعه وبمن جاء به.

{وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ }

أي: نترككم في العذاب

***نعاملكم معاملة الناسي لكم في النار

{ك نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا}

فإن الجزاء من جنس العمل

{وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ }

أي: هي مقركم ومصيركم،

{وَمَا لَكُم مِّن نَّصِرِينَ }

ينصرونكم من عذاب الله ويدفعون عنكم عقابه.

{ذَٰلِكُم } الذي حصل لكم من العذاب

صحيح مسلم(2968) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ:
«هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟»
قَالُوا: لَا،
قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟»
قَالُوا: لَا، قَالَ: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا،
قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟
فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟
فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي،
ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ،
فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟
فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي،
ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ:

يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ،
فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا،
قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ،
وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ "[1]

{بـ} سبب {بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا}

مع أنها موجبة للجد والاجتهاد وتلقيها بالسرور والاستبشار والفرح.

{وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا}

---

[1] (أي فل) معناه يا فلان وهو ترخيم على خلاف القياس وقيل هي لغة بمعنى فلان حكاها القاضي
(أسودك) أي أجعلك سيدا على غيرك
(ترأس) أي تكون رئيس القوم وكبيرهم
(تربع) أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها يقال ربعتهم أي أخذت ربع أموالهم ومعناه ألم أجعلك رئيسا مطاعا
قال القاضي بعد حكايته نحو ما ذكرته عندي أن معناه تركتك مستريحا لا تحتاج إلى مشقة وتعب من قولهم اربع على نفسك أي ارفق بها
(ههنا إذا) معناه قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكرا
(ليعذر) من الإعذار والمعنى ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسك به

بزخارفها ولذاتها وشهواتها فاطمأننتم إليها، وعملتم لها وتركتم العمل للدار الباقية.

{فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ}

أي: ولا يمهلون ولا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحا.

***لا يطلب منهم العُتبي بل يعذبون بغير حساب و لا عتاب كما تدخل طائفة الجنة بغير حساب و لا عذاب

{فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ }

كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه

{رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ}

أي: له الحمد على ربوبيته لسائر الخلائق حيث خلقهم ورباهم وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

{وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ }

أي: له الجلال والعظمة والمجد.

فالحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال و محبته تعالى و إكرامه

والكبرياء فيها عظمته و جلاله

والعبادة مبنية على ركنين، :-

1-محبة الله 2-و الذل له

وهما ناشئان عن العلم بمحامد الله و جلاله و كبريائه.

***صحيح مسلم

2620-عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْأَغَرِّ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ»

{وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ }

القاهر لكل شيء،

{ٱلْحَكِيمُ }

الذي يضع الأشياء مواضعها، فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة و مصلحة و لا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة و منفعة.

46-تفسير سورة الأحقاف-و هي مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾

حمٓ (1) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ

هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز وتعظيم له،

وفي ضمن ذلك إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره

والإقبال على تدبر آياته واستخراج كنوزه.

ولما بين إنزال كتابه المتضمن للأمر والنهي ذكر خلقه السماوات والأرض فجمع بين الخلق والأمر { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: 54]

كما قال تعالى:

{اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ }

[الطلاق: 12]

وكما قال تعالى: { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ } [النحل: 2]

فالله تعالى هو الذي خلق المكلفين وخلق مساكنهم

وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض

ثم أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وأمرهم ونهاهم

وأخبرهم أن هذه الدار دار أعمال وممر للعمال لا دار إقامة لا يرحل عنها أهلها،

وأنهم سينتقلون منها إلى دار الإقامة والقرار وموطن الخلود و الدوام،

و إنما أعمالهم التي عملوها في هذه الدار سيجدون ثوابها في تلك الدار كاملا موفرا.

و أقام تعالى الأدلة على تلك الدار وأذاق العباد نموذجا من الثواب والعقاب العاجل ليكون أدعى لهم إلى طلب المحبوب والهرب من المرهوب،

ولهذا قال هنا: {مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ }

أي: لا عبثا ولا سدى بل ليعرف العباد عظمة خالقهما

و يستدلوا على كماله و يعلموا أن الذي خلقهما على عظمهما قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء

و أن خلقهما وبقاءهما مقدر إلى

{وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ }

* وإلى أجل معلوم عنده.:الميسر

❍فلما أخبر بذلك –و هو أصدق القائلين و أقام الدليل وأنار السبيل أخبر –مع ذلك–

{وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ }

أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضا عن الحق، وصدوفا عن دعوة الرسل فقال:

*راجع الابحاث التابعة للجزء26 لماذا خلق الله الخلق من هنا

وأما الذين آمنوا فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم،

و تلقوها بالقبول والتسليم و قابلوها بالانقياد و التعظيم ففازوا بكل خير، واندفع عنهم كل شر.

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

أي: { قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ}

لهؤلاء الذين أشركوا بالله أوثانا وأندادا لا تملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، قل لهم –مبينا عجز أوثانهم وأنها لا تستحق شيئا من العبادة–:

{أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ}

هل خلقوا من أجرام السماوات والأرض شيئا؟ هل خلقوا جبالا؟

هل أجروا أنهارا؟ هل نشروا حيوانا؟ هل أنبتوا أشجارا؟

هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك؟

لا شيء من ذلك بإقرارهم على أنفسهم فضلا عن غيرهم،

–– فهذا دليل عقلي قاطع على أن كل من سوى الله فعبادته باطلة.

ثم ذكر انتفاء الدليل النقلي

فقال: {ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا}

الكتاب يدعو إلى الشرك

{أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

موروث عن الرسل يأمر بذلك.

من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك،

بل نجزم ونتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم ونهوا عن الشرك به، وهي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم

قال تعالى:{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]

و كل رسول قال لقومه:

{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } [الأعراف: 59]

–فعلم أن جدال المشركين في شركهم غير مستندين فيه على برهان ولا دليل

–وإنما اعتمدوا على ظنون كاذبة وآراء كاسدة وعقول فاسدة.

يدلك على فسادها استقراء أحوالهم وتتبع علومهم وأعمالهم والنظر في حال من أفنوا أعمارهم بعبادته هل أفادهم شيئا في الدنيا أو في الآخرة؟

ولهذا قال تعالى:

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ

أي: مدة مقامه في الدنيا لا ينتفع به بمثقال ذرة

{وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ}

لا يسمعون منهم دعاء ولا يجيبون لهم نداء

هذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشركهم.

لماذا خلق الله الخلق العودة للتفسير

مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (3) الاحقاف

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات56]

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا }

[الإسراء:44]

{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر:31]

{ وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}

[الرعد:3]

{ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:11]

{ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 69]

{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم:21]

-الله لم يخلق شيئا عبثا

-الكل يسبح بحمده كبر ام صغر

-امرنا الله بالتدبر في خلق الله لنستدل علي ربوبيته ومن ثم ندرك ان هناك موت ثم بعث ثم نشور و عقاب او ثواب

- و من ثم نستدل علي الربوبية بالالوهية فنتوجه بالدعاء و الحب و الذل و العبادة لله

فالانسان مأمور ان يجول ببصره و بفكره لتقوية ايمانه بادراك عظمة الله و حكمته حيث لم يخلق شيئا عبثا

-ذلك ان الكائنات الحية سواء في انفسنا و مجتمعاتنا أمم امثالنا و ان خفيت علينا الحكمة التي اوجدها الله فلا يجب ان نستهين بها

-فالبعوض من جند الله سلطه الله علي نمرود

و كذلك الفيروسات و البكتيريا

-و هذه الجنود ان لم تكن مأمورة بشرع فانها عابدة لله

*<u>هذه الكائنات الدقيقة</u> :

يأخذ منها المسلم العظة و العبرة

و الايمان بالخالق

و الايمان بقدرة الله المتناهية في كل امر

منها ما يدرك بالحس و له منافع كتلاقح الاشجار و جودة الثمار و ازالة بعض الامراض

و منها ما لا يدرك و لكنه عالم مستقل بذاته

-الطير الابابيل سلطها الله علي ابرهة

-الله فهم نبيه لغة جذع النخلة فحن كالطفل بعدما تركه للمنبر فضمه حتي هدأ

- الله فهم نبيه لغة الجبل لما اهتز و عليه رسول الله و ابي بكر و عمر و عثمان

-صحيح البخاري3675

أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّﷺصَعِدَ أُحُدًا، وَ أَبُو بَكْرٍ، وَ عُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ:

«اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»

و في رواية اخري

-سنن الترمذي ت شاكر- الالباني:حسن

3703 - عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ حَزْنٍ القُشَيْرِيِّ، قَالَ:

شَهِدْتُ الدَّارَ حِينَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِصَاحِبَيْكُمُ اللَّذَيْنِ أَلَّبَاكُمْ عَلَيَّ. قَالَ: فَجِيءَ بِهِمَا فَكَأَنَّهُمَا جَمَلَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِمَارَانِ، قَالَ: فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ،

فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ وَالإِسْلاَمِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺقَدِمَ المَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلاَءِ المُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ»؟ فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي

فَأَنْتُمُ اليَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ.

قَالُوا: اللّهُمّ نَعَمْ.

فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللّهِ وَالْإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنّ المَسْجِدَ ضَاقَ بِأَهْلِه،

فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ:

«مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدَهَا فِي المَسْجِدِ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الجَنّة»؟

فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي فَأَنْتُمُ اليَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أُصَلّيَ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ؟

قَالُوا: اللّهُمّ، نَعَمْ

قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللّهِ وَبِالْإِسْلَامِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنّي جَهّزْتُ جَيْشَ العُسْرَةِ مِنْ مَالِي؟

قَالُوا: اللّهُمّ نَعَمْ. ثُمّ قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللّهِ وَالإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنّ رَسُولَ اللّه ﷺكَانَ عَلَى ثَبِيرِ مَكّةَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنَا فَتَحَرّكَ الجَبَلُ حَتّى تَسَاقَطَتْ حِجَارَتُهُ بِالحَضِيضِ قَالَ: فَرَكَضَهُ بِرِجْلِه

وَقَالَ: «اسْكُنْ ثَبِيرُ فَإِنّمَا عَلَيْكَ نَبِيّ وَصِدّيقٌ وَشَهِيدَانِ؟»

قَالُوا: اللّهُمّ، نَعَمْ. قَالَ:

اللّهُ أَكْبَرُ شَهِدُوا لِي وَرَبّ الكَعْبَةِ أَنّي شَهِيدٌ، ثَلَاثًا

-الله علم نبيه سليمان منطق الطير و الهدهد و لغة النمل

-الله اطلع النبي و الصحابة علي تسبيح الحصي

-الجامع الصحيح للسنن والمسانيد -صححه الألباني في ظلال الجنة1146

عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رضي الله عنه - قَالَ:

انْطَلَقْتُ أَلْتَمِسُ (اطلب) رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فِي بَعْضِ حَوَائِطِ (بساتين) الْمَدِينَةِ، "

فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَاعِدٌ " ،

فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ فَسَلَّمْتُ –

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: وَحَصَيَاتٌ مَوْضُوعَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ -ﷺ–

" فَأَخَذَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ،

ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي الْأَرْضِ فَسَكَتْنَ ،

ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ -ﷺ- فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ،

ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الْأَرْضِ فَسَكَتْنَ،

ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَرَ ﷺ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ،

ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الْأَرْضِ فَسَكَتْنَ،

ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ ﷺ فَسَبَّحْنَ،

ثُمَّ أَخَذَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ فِي الْأَرْضِ فَسَكَتْنَ "

-الله علم نبيه محمد ﷺلغة الجمل

-سنن أبي داود2549

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ:

أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺخَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ،

فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا النَّاسِ،

و كَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ،

قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ،

فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ و ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ،

فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ،

فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟»

فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»

كل من سبق يدل علي ان هناك أمم امثالنا تتكلم كما نتكلم لكن بلغة لا نفهمها الا ان الله قد اطلعها علي انبيائه

و انهن يسبحن كما جاء في تسبيح الحصي

و ما أخرجه أبو نعيم في الحلية 7/240:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ

مَا صِيدَ مِنْ صَيْدٍ وَ لَا قُطِعَ مِنْ شَجَرٍ إِلَّا بِتَضْيِيعِهِ التَّسْبِيحَ

قال أبو نعيم : غَرِيبٌ، تَفَرَّدَ بِهِ الْقُشَيْرِيُّ، عَنْ مِسْعَرٍ

قال الشيخ الألباني : موضوع [الضعيفة 1877]

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ
ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى
وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾

{وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً}

يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض

{وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ}

***كما قال الله

{إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [العنكبوت: 17]

{وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [العنكبوت: 25

{ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ }

علي المكذبين

{ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ }

بحيث تكون على وجه لا يمترى بها ولا يشك في وقوعها وحقها

لم تفدهم خيرا بل قامت عليهم بذلك الحجة،

و يقولون من إفكهم و افترائهم

{ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}

أي: ظاهر لا شك فيه وهذا من باب قلب الحقائق الذي لا يروج إلا على ضعفاء العقول،

وإلا فبين الحق الذي جاء به الرسول ﷺوبين السحر من المنافاة والمخالفة أعظم مما بين السماء والأرض،

و كيف يقاس الحق –الذي علا وارتفع ارتفاعا على الأفلاك و فاق بضوئه و نوره نور الشمس وقامت الأدلة الأفقية والنفسية عليه،

و أقرت به و أذعنت أولو البصائر والعقول الرزينة– بالباطل الذي هو السحر الذي لا يصدر إلا من ضال ظالم خبيث النفس خبيث العمل؟!

فهو مناسب له وموافق لحاله وهل هذا إلا من البهرجة؟

أي: افترى محمد هذا القرآن من عند نفسه فليس هو من عند الله.

{قُلْ } لهم:

{إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ }

فالله علي قادر و بما تفيضون فيه عالم،

فكيف لم يعاقبني على افترائي الذي زعمتم؟

{ٱفْتَرَىٰهُ ۖ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ}

فهل تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إن أرادني الله بضر أو أرادني برحمة ***كما قال الله

{قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا22 إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ} [الجن: 22، 23]

هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ

* أي هو تعالى أعلم بما تخوضون فيه من القدح والطعن في وفي القرآن.:ايسر

{كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ}

فلو كنت متقولا عليه لأخذ مني باليمين و لعاقبني عقابا يراه كل أحد لأن هذا أعظم أنواع الافتراء لو كنت متقولا

{وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ }

ثم دعاهم إلى التوبة مع ما صدر منهم من معاندة الحق ومخاصمته

فقال: أي: فتوبوا إليه وأقلعوا عما أنتم فيه يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم فيوفقكم للخير ويثيبكم جزيل الأجر.

***و هي كالاية

{ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: 5، 6]

{ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ}

أي: لست بأول رسول جاءكم حتى تستغربوا رسالتي و تستنكروا دعوتي فقد تقدم من الرسل والأنبياء من وافقت دعوتي دعوتهم

فلأي شيء تنكرون رسالتي؟

{وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ}

أي: لست إلا بشرا ليس بيدي من الأمر شيء

و الله تعالى هو المتصرف بي و بكم الحاكم علي و عليكم،

{إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ }

و لست الآتي بالشيء من عندي،

{وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ }

فإن قبلتم رسالتي وأجبتم دعوتي فهو حظكم و نصيبكم في الدنيا و الآخرة

و إن رددتم ذلك علي فحسابكم على الله

و قد أنذرتكم و من أنذر فقد أعذر.

****وَ قَوْلُهُ: {وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلا بِكُمْ}
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: نَزَلَ بَعْدَهَا
{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الْفَتْحِ: 2] .
وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ
بِقَوْلِهِ: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}
قَالُوا: وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ:
هَذَا قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ مَا هُوَ فَاعِلٌ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا هُوَ فَاعِلٌ بِنَا؟
فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ} [الْفَتْحِ: 5] .
هَكَذَا قَالَ، وَالَّذِي هُوَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ
أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا: هَنِيئًا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا لَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.
وَقَالَ الضَّحَّاكُ: {وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلا بِكُمْ} :
مَا أَدْرِي بِمَاذَا أُومَرَ، وَبِمَاذَا أُنْهَى بَعْدَ هَذَا؟
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الهذليّ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي قَوْلِهِ:
{وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلا بِكُمْ}
قَالَ: أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَمَعَاذَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ، وَلَكِنْ قَالَ:
لَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ فِي الدُّنْيَا، أُخْرَجُ كَمَا أُخْرِجَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي؟
أَمْ أُقْتَلُ كَمَا قُتِلَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي؟
وَلَا أَدْرِي أَيُخْسَفُ بِكُمْ أَوْ تُرمون بِالْحِجَارَةِ؟
وَ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي عَوّل عَلَيْهِ ابْنُ جَرِيرٍ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ،
وَ لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ، ﷺ، فَإِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ جَازِمٌ أَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ هُوَ وَمَنِ اتَّبَعَهُ

وَ أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَدْرِ مَا كَانَ يئول إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَأَمْرُ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ إِلَى مَاذَا:

أَيُؤْمِنُونَ أَمْ يَكْفُرُونَ، فيعذبون فَيُسْتَأْصَلُونَ بِكُفْرِهِمْ

{ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ }

أي: أخبروني لو كان هذا القرآن من عند الله وشهد على صحته الموفقون من أهل الكتاب الذين عندهم من الحق ما يعرفون أنه الحق فآمنوا به واهتدوا

فتطابقت أنباء الأنبياء وأتباعهم النبلاء واستكبرتم أيها الجهلاء الأغبياء

فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟

***صحيح البخاري

3812 - عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ،

قَالَ: " مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ:

لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ "

قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ} [الأحقاف: 10] الآيَةَ،

قَالَ: «لاَ أَدْرِي قَالَ مَالِكٌ الآيَةَ أَوْ فِي الحَدِيثِ»( )

□ (شاهد) هو عبد الله بن سلام ﷺ.

(الآية) وتمامها {على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} / الأحقاف 10 /.

-فان هذه الاية مكية نزلت قبل اسلام عبد الله بن سلام و هي كقوله تعالي

{ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} [القصص: 53]

{قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا} [الإسراء: 107، 108]

{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ}

ومن الظلم الاستكبار عن الحق بعد التمكن منه.

*الصحيح المسند من اسباب النزول

عَنْ عَوْف بْنِ مَالك قَالَ:

انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، يَوْمَ عيد لَهُمْ،

فَكَرِهُوا دُخُولَنَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ:

" يَا مَعْشَرَ الْيَهُود أَرُونِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، يُحْبِط اللهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الْغَضَبَ، الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ "

(مثله) مثل ما في القرآن في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة للقرآن في التوحيد والأخلاق وأسس التشريع والمعنى شهد شاهد من بني إسرائيل عالم بالتوراة على كون هذا القرآن من عند الله تعالى.

(قال لا أدري) القائل عبد الله بن يوسف الراوي عن مالك رحمهم الله تعالى]

قَالَ: فَأَسْكَتُوا مَا أَجَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمّ رَدّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمّ ثَلّثَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ،
فَقَالَ: " أَبَيْتُمْ فَوَاللهِ إِنّي لَأَنَا الْحَاشِرُ،
وَ أَنَا الْعَاقِبُ،
وَ أَنَا النّبِيّ الْمُصْطَفَى،
آمَنْتُمْ أَوْ كَذّبْتُمْ ". ثُمّ انْصَرَفَ وَأَنَا مَعَهُ
حَتّى إِذَا كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ نَادَى رَجُلٌ مِنْ خَلْفِنَا:
كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمّدُ. قَالَ: فَأَقْبَلَ.
فَقَالَ ذَلِكَ الرّجُلُ: أَيّ رَجُلٍ تَعْلَمُونَي فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ؟
قَالُوا: وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَنّهُ كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنْكَ، وَلَا أَفْقَهُ مِنْكَ، وَلَا مِنْ أَبِيكَ قَبْلَكَ، وَلَا مِنْ جَدّكَ قَبْلَ أَبِيكَ.
قَالَ: فَإِنّي أَشْهَدُ لَهُ بِاللهِ أَنّهُ نَبِيّ اللهِ، الّذِي تَجِدُونَهُ فِي التّوْرَاةِ،
قَالُوا: كَذَبْتَ، ثُمّ رَدّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ، وَقَالُوا فِيهِ شَرًّا،
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " كَذَبْتُمْ لَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ،
أَمّا آنِفًا فَتُثْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَثْنَيْتُمْ،
وَ لَمّا آمَنَ أَكْذَبْتُمُوهُ،
وَ قُلْتُمْ فِيهِ مَا قُلْتُمْ، فَلَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ ".
قَالَ: فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ
وَ أَنَا وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَزّ وَجَلّ فِيهِ:

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}
[الأحقاف10]

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

أي: قال الكفار بالحق معاندين له ورادين لدعوته:

{لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ}

أي: ما سبقنا إليه المؤمنون

أي: لكنا أول مبادر به وسابق إليه وهذا من البهرجة في مكان،

فأي دليل يدل على أن علامة الحق سبق المكذبين به للمؤمنين؟

هل هم أزكى نفوسا؟

أم أكمل عقولا؟

أم الهدى بأيديهم؟

ولكن هذا الكلام الذي صدر منهم يعزون به أنفسهم بمنزلة من لم يقدر على الشيء ثم طفق يذمه

***أَيْ: قَالُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ:

لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ خَيْرًا مَا سَبَقَنَا هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ

. يَعْنُونَ بِلَالًا وَعَمَّارًا وصُهَيبا وَخَبَّابًا وَأَشْبَاهَهُمْ وَأَقْرَانَهُمْ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَجَاهَةً وَلَهُ بِهِمْ عِنَايَةً. وَقَدْ غَلِطُوا فِي ذَلِكَ غَلَطًا فَاحِشًا، وَأَخْطَئُوا خَطَأً بَيِّنًا،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا} [الْأَنْعَام: 53]

أَيْ: يَتَعَجَّبُونَ: كَيْفَ اهْتَدَى هَؤُلَاءِ دُونَنَا

وَ لِهَذَا قَالُوا: {لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ}

وَ أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ فَيَقُولُونَ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَ قَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الصَّحَابَةِ: هُوَ بِدْعَةٌ

لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لسبقونا إليه،

لأنهم لَمْ يَتْرُكُوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَ قَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا

و لهذا قال: {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ }

أي: هذا السبب الذي دعاهم إليه أنهم لما لم يهتدوا بهذا القرآن

و فاتهم أعظم المواهب و أجل الرغائب قدحوا فيه بأنه ((كذب))

وهو الحق الذي لا شك فيه ولا امتراء يعتريه.

{ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ}

الذي قد وافق الكتب السماوية خصوصا أكملها وأفضلها بعد القرآن

وهي التوراة التي أنزلها الله على موسى

{إِمَامًا وَرَحْمَةً }

أي: يقتدي بها بنو إسرائيل ويهتدون بها

فيحصل لهم خير الدنيا والآخرة.

{وَهَٰذَا }

القرآن

{كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ }

للكتب السابقة شهد بصدقها وصدَّقها بموافقته لها وجعله الله

{لِّسَانًا عَرَبِيًّا }

ليسهل تناوله ويتيسر تذكره،

{لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟}

أنفسهم بالكفر والفسوق والعصيان إن استمروا على ظلمهم بالعذاب الوبيل

{ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ }

ويبشر المحسنين في عبادة الخالق وفي نفع المخلوقين بالثواب الجزيل في الدنيا والآخرة ويذكر الأعمال التي ينذر عنها والأعمال التي يبشر بها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾

أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ}

أي: إن الذين أقروا بربهم وشهدوا له بالوحدانية والتزموا طاعته وداموا على ذلك، و

{ٱسْتَقَٰمُوا۟ }

مدة حياتهم

{فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ}

من كل شر أمامهم (فيما يستقبلون)

{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}

على ما خلفوا وراءهم.(علي ما خلفوا)

{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ}

أي: أهلها الملازمون لها الذين لا يبغون عنها حولا و لا يريدون بها بدلا

{خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

من الإيمان بالله المقتضى للأعمال الصالحة التي استقاموا عليها.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ

***كقوله{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: 23]

و قوله

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: 14]

مسند أبي داود الطيالسي

205 -عن: مُصْعَبَ بْنَ سَعْدٍ،... قَالَ:

وَ قَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ:

أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ فَلَا آكُلُ طَعَامًا وَ لَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى تَكْفُرَ بِاللَّهِ فَامْتَنَعَتْ مِنَ الطَّعَامِ وَ الشَّرَابِ حَتَّى جَعَلُوا يَشْجُرُونَ فَاهَا بِالْعَصَا

وَ نَزَلَتْ{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} [العنكبوت: 8]

هذا من لطفه تعالى بعباده وشكره للوالدين أن وصى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف والكلام اللين وبذل المال والنفقة وغير ذلك من وجوه الإحسان.

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ

ثم نبه على ذكر السبب الموجب لذلك فذكر ما تحملته الأم من ولدها وما قاسته من المكاره وقت حملها ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة

ثم مشقة الرضاع وخدمة الحضانة،

وليست المذكورات مدة يسيرة ساعة أو ساعتين،

وإنما ذلك مدة طويلة قدرها

{ثَلَاثُونَ شَهْرًا}

للحمل تسعة أشهر ونحوها والباقي للرضاع هذا هو الغالب.

و يستدل بهذه الآية مع قوله: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ}

أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع –وهي سنتان–

إذا سقطت منها السنتان بقي ستة أشهر مدة للحمل،

{حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ}

أي: نهاية قوته و شبابه و كمال عقله،

{وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ}

أي: ألهمني و وفقني

{أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ }

أي: نعم الدين و نعم الدنيا، و شكره بصرف النعم في طاعة مسديها و موليها و مقابلته منته بالاعتراف

و العجز عن الشكر

و الاجتهاد في الثناء بها على الله،

و النعم على الوالدين نعم على أولادهم وذريتهم

لأنهم لا بد أن ينالهم منها و من أسبابها و آثارها، خصوصا نعم الدين

فإن صلاح الوالدين بالعلم و العمل من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم.

{وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ }

*أيسر التفاسير:أي تتقبله عني.

بأن يكون جامعا لما يصلحه سالما مما يفسده،

فهذا العمل الذي يرضاه الله ويقبله ويثيب عليه.

{وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ }

لما دعا لنفسه بالصلاح دعا لذريته أن يصلح الله أحوالهم،

و ذكر أن صلاحهم يعود نفعه على والديهم لقوله: {وَأَصْلِحْ لِي}

{إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ }

من الذنوب والمعاصي و رجعت إلى طاعتك

{وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ }

{ أُوْلَٰٓئِكَ }

الذين ذكرت أوصافهم

{ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟}

و هو الطاعات لأنهم يعملون أيضا غيرها.

{وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ } فِي جملة

{فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ } فحصل لهم الخير والمحبوب وزال عنهم الشر والمكروه.

{وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ } أي: هذا الوعد الذي وعدناهم هو وعد صادق من أصدق القائلين الذي لا يخلف الميعاد.

وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾

لما ذكر تعالى حال الصالح البار لوالديه ذكر حالة العاق وأنها شر الحالات فقال:

{ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ }

إذ دعواه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر وخوفاه الجزاء.

وهذا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما أن يدعواه إلى ما فيه سعادته الأبدية وفلاحه السرمدي فقابلهما بأقبح مقابلة

فقال: {أُفٍّ لَّكُمَآ }

*الجزائري: أي نتناً وقبحاً لكما.

أي: تبا لكما ولما جئتما به.

ثم ذكر وجه استبعاده وإنكاره لذلك

فقال: {أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ }

من قبري إلى يوم القيامة

{وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى }

على التكذيب و سلفوا على الكفر و هم الأئمة المقتدى بهم لكل كفور و جهول و معاند؟

{وَهُمَا }

أي: والداه

{يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ }

عليه ويقولان له:

{وَيْلَكَ ءَامِنْ }

أي: يبذلان غاية جهدهما و يسعيان في هدايته أشد السعي

حتى إنهما –من حرصهما عليه– أنهما يستغيثان الله له استغاثة الغريق

و يسألانه سؤال الشريق و يعذلان ولدهما و يتوجعان له و يبينان له الحق

فيقولان:

{إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ }

ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما، و ولدهما لا يزداد إلا عتوا و نفورا

و استكبارا عن الحق و قدحا فيه،

{فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ}

أي: إلا منقول من كتب المتقدمين ليس من عند الله و لا أوحاه الله إلى رسوله،

و كل أحد يعلم أن محمدا ﷺأمي لا يكتب و لا يقرأ و لا تعلم من أحد،

فمن أين يتعلمه؟

و أنى للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا؟.

{أُوْلَٰٓئِكَ }

بهذه الحالة الذميمة

{ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ }

أي: حقت عليهم كلمة العذاب

{فِيٓ } جملة

{أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ}

على الكفر والتكذيب فسيدخل هؤلاء في غمارهم وسيغرقون في تيارهم.

{إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ }

و الخسران فوات رأس مال الإنسان،

و إذا فقد رأس ماله فالأرباح من باب أولى و أحرى،

فهم قد فاتهم الإيمان

و لم يحصلوا على شيء من النعيم

و لا سلموا من عذاب الجحيم.

{وَلِكُلّٖ}

من أهل الخير وأهل الشر

{دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ }

كل على حسب مرتبته من الخير والشر ومنازلهم في الدار الآخرة على قدر أعمالهم

ولهذا قال:

{وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ}

بأن لا يزاد في سيئاتهم و لا ينقص من حسناتهم.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ

يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على النار حين يوبخون و يقرعون

فيقال لهم: {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا}

حيث اطمأننتم إلى الدنيا،

واغتررتم بلذاتها ورضيتم بشهواتها

وألهتكم طيباتها عن السعي لآخرتكم

و تمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من آخرتكم

{بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ}

*الميسر:الخزي والهوان

أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويفضحكم بما كنتم تقولون على الله غير الحق

(بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ)

أي: تنسبون الطريق الضالة التي أنتم عليها إلى الله و إلى حكمه

و أنتم كذبة في ذلك،

{وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ }

أي: تتكبرون عن طاعته،

فجمعوا بين قول الباطل والعمل بالباطل

و الكذب على الله بنسبته إلى رضاه

و القدح في الحق والاستكبار عنه فعوقبوا أشد العقوبة.

وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ
أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ
ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم
مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ
أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾
تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا
وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ
يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾

{وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ} إلى آخر القصة

أي: {وَاذْكُرْ}

بالثناء الجميل

{أَخَا عَادٍ}

و هو هود عليه السلام حيث كان من الرسل الكرام الذين فضلهم الله تعالى بالدعوة إلى دينه وإرشاد الخلق إليه.

{إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ}

و هم عاد

{بِٱلۡأَحۡقَافِ }

أي: في منازلهم المعروفة بالأحقاف و هي: الرمال الكثيرة في أرض اليمن.

{وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ }

فلم يكن بدعا منهم و لا مخالفا لهم، قائلا لهم:

{أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ }

فأمرهم بعبادة الله الجامعة لكل قول سديد وعمل حميد، ونهاهم عن الشرك و التنديد

(إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ)

و خوفهم –إن لم يطيعوه– العذاب الشديد فلم تفد فيهم تلك الدعوة.

{ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا}

أي: ليس لك من القصد ولا معك من الحق إلا أنك حسدتنا على آلهتنا فأردت أن تصرفنا عنها.

{فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ}

و هذا غاية الجهل و العناد.

{ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ

فهو الذي بيده أزمة الأمور و مقاليدها و هو الذي يأتيكم بالعذاب إن شاء.

{وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ }

أي: ليس علي إلا البلاغ المبين

{وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ }

فلذلك صدر منكم ما صدر من هذه الجرأة الشديدة،

فأرسل الله عليهم العذاب العظيم و هو الريح التي دمرتهم و أهلكتهم.

و لهذا قال:

{فَلَمَّا رَأَوۡهُ }

أي: العذاب

{عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ }

أي: معترضا كالسحاب قد أقبل على أوديتهم التي تسيل

فتسقي نوابتهم و يشربون من آبارها و غدرانها.

{قَالُواْ }

مستبشرين:

{هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ }

أي: هذا السحاب سيمطرنا.

قال تعالى:

{بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ }

أي: هذا الذي جنيتم به على أنفسكم حيث قلتم:

{فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} آية 22

{رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ }

{ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ } تمر عليه من شدتها ونحسها.

فسلطها الله عليهم

{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} [الحاقة: 7]

{بِأَمْرِ رَبِّهَا }

أي: بإذنه ومشيئته .

{فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ }

قد تلفت مواشيهم و أموالهم و أنفسهم.

{كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ }

بسبب جرمهم و ظلمهم.

***صحيح البخاري

4829 - عن عائشة: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ،

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ المَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الكَرَاهِيَةُ،

فَقَالَ: " يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟

عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ العَذَابَ، فَقَالُوا:(هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا)

هذا مع أن الله تعالى قد أدر عليهم النعم العظيمة فلم يشكروه ولا ذكروه

و لهذا قال: {وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ}

أي: مكناهم في الأرض يتناولون طيباتها ويتمتعون بشهواتها

وعمرناهم عمرا يتذكر فيه من تذكر، ويتعظ فيه المهتدي،

أي:و لقد مكنا عادا كما مكناكم يا هؤلاء المخاطبون

أي:فلا تحسبوا أن ما مكناكم فيه مختص بكم

و أنه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئا،

بل غيركم أعظم منكم تمكينا فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم ولا جنودهم من الله شيئا.

{فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً}

أي: لا قصور في أسماعهم ولا أبصارهم ولا أذهانهم

حتى يقال إنهم تركوا الحق جهلا منهم وعدم تمكن من العلم به

ولا خلل في عقولهم ولكن التوفيق بيد الله.

{فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ}

لا قليل و لا كثير، و ذلك بسبب أنهم

{إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ}

الدالة على توحيده وإفراده بالعبادة.

{وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ}

أي: نزل بهم العذاب الذي يكذبون بوقوعه

و يستهزئون بالرسل الذين حذروهم منه.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾

فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ

إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ

يحذر تعالى مشركي العرب وغيرهم بإهلاك الأمم المكذبين الذين هم حول ديارهم،

بل كثير منهم في جزيرة العرب كعاد وثمود ونحوهم

(وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ)

وأن الله تعالى صرف لهم الآيات

أي: نوعها من كل وجه،

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }

عما هم عليه من الكفر والتكذيب.

فلما لم يؤمنوا أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر

ولم تنفعهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء

و لهذا قال هنا:

{ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ}

أي: يتقربون إليهم و يتألهونهم لرجاء نفعهم.

{بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ}

فلم يجيبوهم ولا دفعوا عنهم

{وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ}

من الكذب الذي يمنون به أنفسهم حيث يزعمون أنهم على الحق و أن أعمالهم ستنفعهم فضلت و بطلت.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

*الصحيح المسند من أسباب النزول

المستدرك على الصحيحين للحاكم

عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللّه، قَالَ:

" هَبَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِبَطْنِ نَخْلَةَ فَلَمَّا سَمِعُوهُ

قَالُوا: أَنْصِتُوا.

قَالُوا: صَهِ. وَكَانُوا تِسْعَةً أَحَدُهُمْ زَوْبَعَةُ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا}

[الأحقاف29] الْآيَةُ إِلَى {ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران164]

(وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ)

كان الله تعالى قد أرسل رسوله محمدا ﷺإلى الخلق إنسهم وجنهم وكان لا بد من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة والرسالة.

فالإنس يمكنه عليه الصلاة والسلام دعوتهم و إنذارهم،

و أما الجن فصرفهم الله إليه بقدرته و أرسل إليه

{نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ}

أي: وصى بعضهم بعضا بذلك،

{فَلَمَّا قُضِىَ }

و قد وعوه و أثَّر ذلك فيهم

{وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ}

نصحا منهم لهم و إقامة لحجة الله عليهم

و قيضهم الله معونة لرسوله ﷺفي نشر دعوته في الجن.

{ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ}

لأن كتاب موسى أصل للإنجيل و عمدة لبني إسرائيل في أحكام الشرع،

و إنما الإنجيل متمم و مكمل و مغير لبعض الأحكام.

{مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ }

هذا الكتاب الذي سمعناه

{إِلَى ٱلْحَقِّ }

و هو الصواب في كل مطلوب و خبر

{وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ }

موصل إلى الله وإلى جنته من العلم بالله و بأحكامه الدينية و أحكام الجزاء.

فلما مدحوا القرآن و بينوا محله و مرتبته دعوهم إلى الإيمان به،

فقالوا: {يَٰقَوْمَنَآ }

أي: الذي لا يدعو إلا إلى ربه لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه و لا هوى

***فيه دلالة علي ان محمدا ارسل الي الثقلين و قرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين و وعدهم و وعيدهم و هي سورة الرحمن و لهذا قال

(أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ)

و إنما يدعوكم إلى ربكم ليثيبكم و يزيل عنكم كل شر و مكروه، ولهذا قالوا:

{يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}

و إذا أجارهم من العذاب الأليم فما ثم بعد ذلك إلا النعيم

فهذا جزاء من أجاب داعي الله.

{ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ}

فإن الله على كل شيء قدير فلا يفوته هارب ولا يغالبه مغالب.

{وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ }

*الميسر: أنصار

أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ}

و أي ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل و وصلت إليه النذر بالآيات البينات، والحجج المتواترات فأعرض واستكبر؟ "

*** صحيح البخاري

773 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

قَالَ:انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺفِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ،

وَ قَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ،

وَ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟

فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ،

قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ

فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا،

فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ،

فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺوَ هُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الفَجْرِ

فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ،

فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ،

فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ

وَ قَالُوا: يَا قَوْمَنَا:

{إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا* يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: 2]،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ} [الجن: 1]

وَ إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ ( )

□ (طائفة) ما فوق الواحد.

(عامدين) قاصدين

26-م06-ص506

صحيح مسلم (450)
عَنْ عَامِرٍ، قَالَ:
سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟
قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ، أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ
فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺلَيْلَةَ الْجِنِّ؟
قَالَ: لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ
فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَ الشِّعَابِ.
فَقُلْنَا: اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ.
قَالَ:فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ
فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلَ حِرَاءٍ.
قَالَ:فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ
فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ.
فَقَالَ:«أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ»
قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ

(سوق عكاظ) اسم سوق للعرب بناحية مكة
(حيل) حجز
(خبرالسماء) ماكانوا يسترقونه من أخبار تتكلم بها الملائكة في السماء
(الشهب) جمع شهاب وهو شعلة نار ساطعة كأنها كوكب منقض
(تهامة) مكة. (عجبا) بديعا في نظمه ومعانيه بحيث يثير العجب ويحوز الإعجاب
(قل أوحي إلي) سورة الجن التي تفتح بهذه الجملة
(أوحي إليه قول الجن) أي المذكور في القصة فلم يوح إليه معناه بل لفظه بعينه]
(الأودية والشعاب) في المصباح الأودية جمع الوادي وهو كل منفرج بين جبال يكون منفذا للسيل والشعاب جمع شعب بالكسر وهو الطريق وقيل الطريق في الجبل (استطير أو اغتيل) معنى استطير طارت به الجن ومعنى اغتيل قتل سرا والغيلة بالكسر هي القتل خفية]

فَقَالَ: " لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا
وَ كُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ.
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ»
صحيح البخاري
3860 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺإِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ
فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟»
فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ،
فَقَالَ: «ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بِهَا، وَلاَ تَأْتِنِي بِعَظْمٍ وَلاَ بِرَوْثَةٍ».
فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي،
حَتَّى وَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ،
فَقُلْتُ: مَا بَالُ العَظْمِ وَ الرَّوْثَةِ؟
قَالَ: «هُمَا مِنْ طَعَامِ الجِنِّ،
وَ إِنَّهُ أَتَانِي وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ، وَ نِعْمَ الجِنُّ،
فَسَأَلُونِي الزَّادَ،
فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَمُرُّوا بِعَظْمٍ،وَ لاَ بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا»( )

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾

(ما بال العظم والروثة) أي نهيتني عن الإتيان بها للاستنجاء.
(وجدوا عليها طعاما) حقيقة بخلق الله تعالى أو أنها هي تكون طعاما أو العظم طعام لهم والروث علف لدوابهم كما ورد والله تعالى ورسوله أعلم]

*** {أَوَلَمْ يَرَوْا }

أَيْ: هَؤُلَاءِ الْمُنْكِرُونَ لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُسْتَبْعِدُونَ لِقِيَامِ الْأَجْسَادِ يَوْمَ الْمَعَادِ

{أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى }

*الميسر: يعجز

أَيْ: وَ لَمْ يَكْرثهُ خَلْقُهن، بَلْ قَالَ لَهَا:

" كُونِي" فَكَانَتْ، بِلَا مُمَانَعَةٍ وَلَا مُخَالَفَةٍ،

بَلْ طَائِعَةٌ مُجِيبَةٌ خَائِفَةٌ وَجِلَةٌ،

أَفَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى؟

كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:

{لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غَافِرٍ: 57]

وَ لِهَذَا قَالَ: {بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ)

***أَمَا هَذَا حَقٌّ؟ أَفَسِحْرٌ هَذَا؟ أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ؟
هذا استدلال منه تعالى على الإعادة بعد الموت بما هو أبلغ منها،
و هو أنه الذي خلق السماوات و الأرض على عظمهما و سعتهما
و إتقان خلقهما من دون أن يكترث بذلك و لم يعي بخلقهن
فكيف تعجزه إعادتكم بعد موتكم وهو على كل شيء قدير؟ "
يخبر تعالى عن حال الكفار الفظيعة عند عرضهم على النار التي كانوا يكذبون بها و أنهم يوبخون
و يقال لهم: {أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ۖ }
فقد حضرتموه و شاهدتموه عيانا؟
{قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ }
فاعترفوا بذنبهم و تبين كذبهم
{قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}
أي: عذابا لازما دائما كما كان كفركم صفة لازمة.
(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)
*** نُوحٌ، وَ إِبْرَاهِيمُ، وَ مُوسَى، وَ عِيسَى، وَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ ﷺ
ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له
و أن لا يزال داعيا لهم إلى الله وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين
سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية الذين عظم صبرهم،
و تم يقينهم،فهم أحق الخلق بالأسوة بهم و القفو لآثارهم و الاهتداء بمنارهم.

فامتثل ﷺلأمر ربه فصبر صبرا لم يصبره نبي قبله
حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة،
و قاموا جميعا بصده عن الدعوة إلى الله
و فعلوا ما يمكنهم من المعاداة و المحاربة،
و هو ﷺلم يزل صادعا بأمر الله مقيما على جهاد أعداء الله صابرا على ما يناله من الأذى
حتى مكن الله له في الأرض و أظهر دينه على سائر الأديان و أمته على الأمم،
فصلى الله عليه وسلم تسليما.

و قوله: {وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ }
أي: لهؤلاء المكذبين المستعجلين للعذاب
فإن هذا من جهلهم وحمقهم فلا يستخفنك بجهلهم
ولا يحملك ما ترى من استعجالهم على أن تدعو الله عليهم بذلك
فإن كل ما هو آت قريب،

***كقوله {وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا} [المزمل: 11]
و كقوله { فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق: 17]
و {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا} في الدنيا
كقوله: { كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات: 46]

{ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ}

فلا يحزنك تمتعهم القليل وهم صائرون إلى العذاب الوبيل.

{بَلَٰغٌۚ }

أي: هذه الدنيا متاعها و شهوتها ولذاتها بلغة منغصة و دفع وقت حاضر قليل.

أو هذا القرآن العظيم الذي بينا لكم فيه البيان التام بلاغ لكم، و زاد إلى الدار الآخرة، و نعم الزاد و البلغة زاد يوصل إلى دار النعيم و يعصم من العذاب الأليم،

فهو أفضل زاد يتزوده الخلائق و أجل نعمة أنعم الله بها عليهم.

{فَهَلۡ يُهۡلَكُ }

بالعقوبات

{إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ }

الذين لا خير فيهم و قد خرجوا عن طاعة ربهم

و لم يقبلوا الحق الذي جاءتهم به الرسل.

*** لَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ، وَ هَذَا مِنْ عَدْلِهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ.

و أعذر الله لهم و أنذرهم فبعد ذلك إذ يستمرون على تكذيبهم و كفرهم نسأل الله العصمة.

47-تفسير سورة القتال-و هي مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾

هذه الآيات مشتملات على ذكر ثواب المؤمنين وعقاب العاصين،

و السبب في ذلك، و دعوة الخلق إلى الاعتبار بذلك، فقال:

{ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ}

و هؤلاء رؤساء الكفر، و أئمة الضلال،الذين جمعوا بين الكفر بالله و آياته،

و الصد لأنفسهم و غيرهم عن سبيل الله،

التي هي الإيمان بما دعت إليه الرسل و اتباعه.

فهؤلاء {أَضَلَّ }

الله

{أَعْمَٰلَهُمْ }

أي: أبطلها وأشقاهم بسببها،

و هذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق وأولياء الله،

أن الله جعل كيدهم في نحورهم،

فلم يدركوا مما قصدوا شيئا،و أعمالهم التي يرجون أن يثابوا عليها، أن الله سيحبطها عليهم،

و السبب في ذلك أنهم اتبعوا الباطل:-

و هو كل غاية لا يراد بها وجه الله من عبادة الأصنام والأوثان،

و الأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة،

كانت الأعمال لأجلها باطلة.

***كقوله {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 23]

و أما {وَٱلَّذِينَ }

بما أنزل الله على رسله عموما، و على محمد ﷺخصوصا،

{وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ }

بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله، و حقوق العباد الواجبة و المستحبة.

{وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ}

*** عطف خاص على عام وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته

{كَفَّرَ }

الله

{عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ }

صغارها و كبارها،

و إذا كفرت سيئاتهم، نجوا من عذاب الدنيا و الآخرة.

{وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}

أي: أصلح دينهم و دنياهم، و قلوبهم و أعمالهم، و أصلح ثوابهم، بتنميته و تزكيته، و أصلح جميع أحوالهم، و السبب في ذلك أنهم:

(ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ

الذي هو الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم، الصادر

(مِن رَّبِّهِمْ ۚ)

الذي رباهم بنعمته، ودبرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه، فصلحت أمورهم،

❍فلما كانت الغاية المقصودة لهم، متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقي الحق المبين، كانت الوسيلة صالحة باقية، باقيا ثوابها.

{كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ}

حيث بين لهم تعالى أهل الخير و أهل الشر،

و ذكر لكل منهم صفة يعرفون بها و يتميزون

{ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ } [الأنفال: 42]

وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦

يقول تعالى –مرشدا عباده إلى ما فيه صلاحهم، و نصرهم على أعدائهم–:

{ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ }

في الحرب و القتال،

(فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ)

فاصدقوهم القتال،

و اضربوا منهم الأعناق،

(حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ)

حَتَّى تثخنوهم و تكسروا شوكتهم و تبطلوا شرتهم،

فإذا فعلتم ذلك، و رأيتم الأسر أولى و أصلح،

{فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ }

أي: الرباط،

و هذا احتياط لأسرهم لئلا يهربوا،

فإذا شد منهم الوثاق اطمأن المسلمون من هربهم و من شرهم،

(فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً)

فإذا كانوا تحت أسركم، فأنتم بالخيار بين المن عليهم، و إطلاقهم بلا مال ولا فداء،

و إما أن تفدوهم بأن لا تطلقوهم حتى يشتروا أنفسهم،

أو يشتريهم أصحابهم بمال،

أو بأسير مسلم عندهم.

و هذا الأمر مستمر

{حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ}

أي: حتى لا يبقى حرب، و تبقون في المسألة و المهادنة،

فإن لكل مقام مقالا ولكل حال حكما،

فالحال المتقدمة، إنما هي إذا كان قتال و حرب.

***كقوله

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} [البقرة: 193]

فإذا كان في بعض الأوقات، لا حرب فيه لسبب من الأسباب،

فلا قتل ولا أسر.

{ذَٰلِكَ }

الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، و مداولة الأيام بينهم،

وانتصار بعضهم على بعض

{وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ}

فإنه تعالى على كل شيء قدير،

و قادر على أن لا ينتصر الكفار في موضع واحد أبدا،

حتى يبيد المسلمون خضراءهم.

{وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ}

ليقوم سوق الجهاد،

و يتبين بذلك أحوال العباد، الصادق من الكاذب،

و ليؤمن من آمن إيمانا صحيحا عن بصيرة،

لا إيمانا مبنيا على متابعة أهل الغلبة،

فإنه إيمان ضعيف جدا، لا يكاد يستمر لصاحبه عند المحن و البلايا.

{وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ}

لهم ثواب جزيل، و أجر جميل، وهم الذين قاتلوا من أمروا بقتالهم،

لتكون كلمة الله هي العليا.

*** سنن الترمذي ت شاكر 1663

عَنْ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ:

1-يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ،

2-وَ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ،

3- وَ يُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ،
4-وَ يَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ،
5-وَ يُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا،
6-وَ يُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَ سَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ،
وَ يُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ

صحيح مسلم 1886

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»

(فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ)

فهؤلاء لن يضل الله أعمالهم، أي: لن يحبطها و يبطلها،

بل يتقبلها وينميها لهم، و يظهر من أعمالهم نتائجها، في الدنيا و الآخرة.

{سَيَهْدِيهِمْ}

إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة

*** كقوله

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [يونس: 9]

{وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ}

أي: حالهم وأمورهم،

و ثوابهم يكون صالحا كاملا لا نكد فيه، و لا تنغيص بوجه من الوجوه.

{وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ}

أي: عرفها أولا بأن شوقهم إليها، و نعتها لهم،

و ذكر لهم الأعمال الموصلة إليها، التي من جملتها:-

القتل في سبيله، و وفقهم للقيام بما أمرهم به و رغبهم فيه،

ثم إذا دخلوا الجنة، عرفهم منازلهم، و ما احتوت عليه من:-

النعيم المقيم، والعيش السليم.

*** صحيح البخاري -2440

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
" إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ،
فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا
حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ،
فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا،( )

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ

(حبسوا) أوقفوا.

(بقنطرة) كل شيء ينصب على طرفي واد أو جانبي نهر ونحوه.

(فيتقاصون) من القصاص والمعنى يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض.

(نقوا وهذبوا) خلصوا من جميع الآثام ولم يبق على أحدهم أية تبعة من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء والتهذيب وهو التخليص.

(أدل) أكثر دلالة وأعرف]

***كقوله: { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} [الحج: 40]

هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، و الدعوة إليه،

و جهاد أعدائه، و القصد بذلك وجه الله،

فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله

(وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)

أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات،

و يصبر أجسامهم على ذلك،

و يعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد،

أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه،

و ييسر له أسباب النصر، من الثبات و غيره.

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ)

وأما الذين كفروا بربهم، ونصروا الباطل، فإنهم في تعس،

أي: انتكاس من أمرهم وخذلان.

{وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ }

أي: أبطل أعمالهم التي يكيدون بها الحق،

فرجع كيدهم في نحورهم،

و بطلت أعمالهم التي يزعمون أنهم يريدون بها وجه الله.

ذلك الإضلال و التعس للذين كفروا، بسبب

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ)

من القرآن الذي أنزله الله، صلاحا للعباد، و فلاحا لهم،

فلم يقبلوه، بل أبغضوه و كرهوه،

{فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ }

۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ

دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١

أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ

أي: أفلا يسير هؤلاء المكذبون بالرسول ﷺ،

{فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ}

فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب،

فإنهم لا يلتفتون يمنة و لا يسرة إلا وجدوا ما حولهم، قد بادوا و هلكوا،

و استأصلهم التكذيب و الكفر، فخمدوا،

(دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ)

أموالهم و ديارهم، بل دمر أعمالهم و مكرهم،

(وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا)

و للكافرين في كل زمان و مكان،

أمثال هذه العواقب الوخيمة، و العقوبات الذميمة.

و أما المؤمنون،

فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب، و يجزل لهم كثير الثواب.

{ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ}

فتولاهم برحمته،فأخرجهم من الظلمات إلى النور،و تولى جزاءهم و نصرهم،

*** صحيح البخاري

4043 عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقِينَا المُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ،
وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ،
وَقَالَ: «لاَ تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا،
وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلاَ تُعِينُونَا»
فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ،
قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ،
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لاَ تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا،
فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا،
وَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟
فَقَالَ: «لاَ تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟
قَالَ: «لاَ تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟
فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلاَءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ
فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ
قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبَلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ»
قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ "

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ»
قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ»
قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ، وَتَجِدُونَ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي

{وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ }

بالله تعالى، حيث قطعوا عنهم ولاية الله، وسدوا على أنفسهم رحمته

{لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ }

يهديهم إلى سبل السلام، و لا ينجيهم من عذاب الله وعقابه،

بل أولياؤهم الطاغوت،

يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ
مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن
زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٤ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ
ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى
وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ
أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ
مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ
هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ
فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ١٨ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢
(إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ)

لما ذكر تعالى أنه ولي المؤمنين، ذكر ما يفعل بهم في الآخرة، من دخول الجنات، التي تجري من تحتها الأنهار،

التي تسقي تلك البساتين الزاهرة، و الأشجار الناظرة المثمرة، لكل زوج بهيج، و كل فاكهة لذيذة.

(وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ)

–ولما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم، ذكر أنهم وُكِلُوا إلى أنفسهم،

فلم يتصفوا بصفات المروءة، ولا الصفات الإنسانية،

–بل نزلوا عنها دركات، و صاروا كالأنعام، التي لا عقل لها و لا فضل،

–بل جل همهم و مقصدهم التمتع بلذات الدنيا و شهواتها،

فترى حركاتهم الظاهرة والباطنة دائرة حولها، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير و السعادة

(وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ)

و لهذا كانت النار مثوى لهم، أي: منزلا معدا، لا يخرجون منها،

و لا يفتر عنهم من عذابها.

*** صحيح البخاري

5393 - عَنْ نَافِعٍ، قَالَ:

كَانَ ابْنُ عُمَرَ، لاَ يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ

فَأَدْخَلْتُ رَجُلًا يَأْكُلُ مَعَهُ فَأَكَلَ كَثِيرًا،

فَقَالَ: يَا نَافِعُ، لاَ تُدْخِلْ هَذَا عَلَيَّ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ

يَقُولُ: «المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»( )

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾

(وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ)

أي: وكم من قرية من قرى المكذبين،

(هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ)

في الأموال و الأولاد و الأعوان، و الأبنية و الآلات.

{أَهْلَكْنَٰهُمْ }

حين كذبوا رسلنا، و لم تفد فيهم المواعظ،

(فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ)

فلا نجد لهم ناصرا،

و لم تغن عنهم قوتهم من عذاب الله شيئا.

فكيف حال هؤلاء الضعفاء، أهل قريتك،

إذ أخرجوك عن وطنك وكذبوك، وعادوك،

وأنت أفضل المرسلين، وخير الأولين والآخرين؟!

أليسوا بأحق من غيرهم بالإهلاك والعقوبة،

(معى) والجمع أمعاء وهي المصارين.

(سبعة أمعاء) هو كناية عن الشره والرغبة في متاع الدنيا وملذاتها والحرص على التشبع من شهواتها التي من جملتها تنوع المآكل والمشارب والامتلاء منها

وقيل في معناه غير ذلك]

لولا أن الله تعالى بعث رسوله بالرحمة والتأني بكل كافر وجاحد؟

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾

أي: (أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ)

لا يستوي من هو على بصيرة من أمر دينه، علما و عملا

قد علم الحق و اتبعه، و رجا ما وعده الله لأهل الحق،

(كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ)

كمن هو أعمى القلب، قد رفض الحق و أضله،

(وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم)

و اتبع هواه بغير هدى من الله،

و مع ذلك، يرى أن ما هو عليه من الحق،

فما أبعد الفرق بين الفريقين!

و ما أعظم التفاوت بين الطائفتين، أهل الحق و أهل الغي!

مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾

(مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ)

أي: مثل الجنة التي أعدها الله لعباده، الذين اتقوا سخطه، و اتبعوا رضوانه،

أي: نعتها وصفتها الجميلة.

{فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ}

أي: غير متغير، لا بوخم و لا بريح منتنة، و لا بمرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه و أصفاها، و أطيبها ريحا، و ألذها شربا.

{وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ}

بحموضة و لا غيرها،

{وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ}

أي: يلتذ به شاربه لذة عظيمة،

لا كخمر الدنيا الذي

1-يكره مذاقه

2-و يصدع الرأس

3-و يغول العقل.

{وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى}

من شمعه، و سائر أوساخه.

{وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ}

من نخيل، و عنب، و تفاح، و رمان، و أترج، و تين،

و غير ذلك مما لا نظير له في الدنيا،

فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم.

***كقوله {يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ} [الدخان: 55]

ثم قال: {وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ }

يزول بها عنهم المرهوب،

فأي هؤلاء خير أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها، و تضاعف عذابها

(كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ)

ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدركات

{وَسُقُوا }

فيها

{مَاءً حَمِيمًا }

أي: حارا جدا، لا يستطاع

{فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ }

ما في بطونهم من الامعاء و الاحشاء

فسبحان من فاوت بين الدارين و الجزاءين، و العاملين و العملين.

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾

يقول تعالى: و من المنافقين

{ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ }

ما تقول استماعا، لا عن قبول و انقياد، بل معرضة قلوبهم عنه،

و لهذا قال: {حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ}

مستفهمين عما قلت، وما سمعوا، مما لم يكن لهم فيه رغبة

{مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ }

أي: قريبا، وهذا في غاية الذم لهم،

فإنهم لو كانوا حريصين على الخير لألقوا إليه أسماعهم، و وعته قلوبهم، وانقادت له جوارحهم، ولكنهم بعكس هذه الحال،

ولهذا قال: {أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ }

أي: ختم عليها، وسد أبواب الخير التي تصل إليها

{ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ }

بسبب اتباعهم أهواءهم، التي لا يهوون فيها إلا الباطل.

ثم بين حال المهتدين،

فقال: {وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ }

بالإيمان والانقياد، واتباع ما يرضي الله

{زَادَهُمْ هُدًى }

شكرا منه تعالى لهم على ذلك،

***و الذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالي لها فهداهم اليها و ثبتهم عليها و زادهم منها

{وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ }

أي: وفقهم للخير، وحفظهم من الشر

***الهمهم رشدهم

فذكر للمهتدين جزاءين: العلم النافع، والعمل الصالح.

فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ١٨

(فَهَلۡ يَنظُرُونَ)

أي: فهل ينظر هؤلاء المكذبون أو ينتظرون

{إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ }

أي: فجأة، وهم لا يشعرون

{فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ }

أي: علاماتها الدالة على قربها.

***صحيح البخاري (4936)

حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بِالوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»( )

 (قال بإصبعه) أشار.

{فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ}

***الميسر: فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة؟**

أي:من أين لهم،إذا جاءتهم الساعة و انقطعت آجالهم أن يتذكروا و يستعتبوا؟ قد فات ذلك، و ذهب وقت التذكر، فقد عمروا ما يتذكر فيه من تذكر، و جاءهم النذير.

*****كقوله { يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} [الفجر: 23]**

{ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ: 52]

ففي هذا الحث على الاستعداد قبل مفاجأة الموت،

فإن موت الإنسان قيام ساعته.

(والساعة) قيام القيامة.

(كهاتين) أي مقترنين كاقترانهما أو الفارق بين بعثتي وقيام الساعة كالفرق بين الأصبعين في الطول والمراد بيان قرب وقت قيام الساعة.

(تطم) تعلو عليه وتغلب والمراد بالطامة يوم القيامة]

(خطيئتي) ذنبي.

(جهلي) ما وقع مني جهلا والجهل ضد العلم.

(إسرافي) تجاوزي للحد. (عمدي) ما وقع مني عن قصد.

(هزلي) ما وقع مني حال كوني هازلا والهزل ضد الجد.

(المقدم) تقدم من تشاء من خلقك إلى رحمتك بتوفيقك.

(المؤخر) تؤخر من تشاء بخذلانك له.

(كل ذلك عندي) أي أنا متصف بهذه الأشياء فاغفرها لي]

فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩

***صحيح البخاري (6398)

عَنِ ابْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ:

«رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي،

وَ إِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ

وَ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي،

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَ عَمْدِي وَ جَهْلِي وَ هَزْلِي،

وَ كُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي،

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ،

أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»

صحيح مسلم (2346)عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ،

قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺوَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا، أَوْ قَالَ ثَرِيدًا،

قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ؟

قَالَ: نَعَمْ، وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ

{وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد: 19]

قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ

«فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. عِنْدَ نَاغِضِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى.

جُمْعًا عَلَيْهِ خِيلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّآلِيلِ»( )

(ناغض كتفه) قال الجمهور الناغض أعلى الكتف وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه وقيل ما يظهر منه عند التحرك سمي ناغضا لتحركه

(جمعا) معناه أنه كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها

(خيلان) جمع خال وهو الشامة في الجسد

صحيح البخاري (6307)
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»

العلم لا بد فيه من إقرار القلب و معرفته

بمعنى ما طلب منه علمه، و تمامه أن يعمل بمقتضاه.

و هذا العلم الذي أمر الله به –و هو العلم بتوحيد الله– فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان،

بل كل مضطر إلى ذلك. و الطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور:

أحدها

بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته،

و أفعاله الدالة على كماله و عظمته و جلالته

فإنها توجب بذل الجهد في التأله له،

و التعبد للرب الكامل الذي له كل حمد و مجد و جلال و جمال.

الثاني:

العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية،

(الثآليل) جمع ثؤلول وهي حبيبات تعلو الجسد
قال القاضي وهذه الروايات متقاربة متفقة على أنها شاخص في جسده قدر بيضة الحمامة وهو نحو بيضة الحجلة وزر الحجلة وأما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة فتؤول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة]

فإن ذلك يوجب تعلق القلب به و محبته، و التأله له وحده لا شريك له.

الرابع:

ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر و النعم العاجلة، و من عقوبته لأعدائه المشركين به،

فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس:

معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، و اتخذت آلهة، و أنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

السادس:

اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع:

أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا ورأيا وصوابا، وعلما –وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون– قد شهدوا لله بذلك.

الثامن:

ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة،

و تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، و بديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، و أبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها،

لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك،

فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت،

و قامت أدلة التوحيد من كل جانب،

فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد

بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه و الخيالات،

و لا يزداد –على تكرر الباطل والشبه– إلا نموا و كمالا.

هذا،و إن نظرت إلى الدليل العظيم،

و الأمر الكبير –و هو تدبر هذا القرآن العظيم، و التأمل في آياته– فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله و جمله ما لا يحصل في غيره.

و قوله: {وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ }

أي: اطلب من الله المغفرة لذنبك، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، و الحسنات الماحية، و ترك الذنوب و العفو عن الجرائم.

{و} استغفر أيضا

{وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}

فإنهم –بسبب إيمانهم– كان لهم حق على كل مسلم و مسلمة.

و من جملة حقوقهم أن يدعو لهم ويستغفر لذنوبهم،

و إذا كان مأمورا بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم،

فإن من لوازم ذلك النصح لهم،

و أن يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه،

و يكره لهم من الشر ما يكره لنفسه،

و يأمرهم بما فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم،

و يعفو عن مساويهم ومعايبهم،

و يحرص على اجتماعهم اجتماعا تتألف به قلوبهم،

و يزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق،

الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ}

أي: تصرفاتكم و حركاتكم، و ذهابكم و مجيئكم،

{وَمَثْوَاكُمْ}

الذي به تستقرون، فهو يعلمكم في الحركات والسكنات،

فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء و أوفاه.

***كقوله {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ}[الأنعام: 60]

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هود: 6]

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا
ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ
ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟
أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا
يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ
فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا
ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ
ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ

لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾

*** يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ تَمَنَّوْا شَرْعِيَّةَ الْجِهَادِ، فَلَمَّا فَرَضَهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ وَ أَمَرَ بِهِ نَكَلَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا} [النساء:77] .

يقول تعالى: {وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا }

استعجالا و مبادرة للأوامر الشاقة:

{لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ }

أي: فيها الأمر بالقتال.

{فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ }

أي: ملزم العمل بها

{وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ }

الذي هو أشق شيء على النفوس،

لم يثبت ضعفاء الإيمان على امتثال هذه الأوامر، و لهذا قال:

{رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ}

من كراهتهم لذلك، وشدته عليهم.

*الجزائري:نظر المغشي عليه من سكرات الموت

وهذا كقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً}

ثم ندبهم تعالى إلى ما هو الأليق بحالهم،

فقال: {فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ}

أي: فأولى لهم أن يمتثلوا الأمر الحاضر المحتم عليهم،

و يجمعوا عليه هممهم، و لا يطلبوا أن يشرع لهم ما هو شاق عليهم،

و ليفرحوا بعافية الله تعالى وعفوه.

*الجزائري:فأجدر بهم طاعة لرسول الله وقول معروف حسن له

{فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ }

أي: جاءهم الأمر جد، وأمر محتم،

(فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ)

ففي هذه الحال لو صدقوا الله بالاستعانة به، و بذل الجهد في امتثاله

{لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ }

من حالهم الأولى، و ذلك من وجوه:

1-أن العبد ناقص من كل وجه، لا قدرة له إلا إن أعانه الله،

فلا يطلب زيادة على ما هو قائم بصدده.

2–أنه إذا تعلقت نفسه بالمستقبل، ضعف عن العمل، بوظيفة وقته و بوظيفة المستقبل،

أما الحال، فلأن الهمة انتقلت عنه إلى غيره، و العمل تبع للهمة،

و أما المستقبل، فإنه لا يجيء حتى تفتر الهمة عن نشاطها فلا يعان عليه.

3–أن العبد المؤمل للآمال المستقبلة، مع كسله عن عمل الوقت الحاضر، شبيه بالمتألي الذي يجزم بقدرته، على ما يستقبل من أموره،

فأحرى به أن يخذل ولا يقوم بما هم به و وطن نفسه عليه،

فالذي ينبغي أن يجمع العبد همه و فكرته و نشاطه على وقته الحاضر، و يؤدي وظيفته بحسب قدرته،

ثم كلما جاء وقت استقبله بنشاط و همة عالية مجتمعة غير متفرقة، مستعينا بربه في ذلك،

فهذا حري بالتوفيق والتسديد في جميع أموره.

ثم ذكر تعالى حال المتولي عن طاعة ربه، و أنه لا يتولى إلى خير، بل إلى شر، فقال

{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}

أي: فهما أمران، إما التزام لطاعة الله، و امتثال لأوامره،

فثم الخير و الرشد و الفلاح،

و إما إعراض عن ذلك، و تولٍ عن طاعة الله،

فما ثم إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي و قطيعة الأرحام.

*** أَيْ: تَعُودُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ، تَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ وَتُقَطِّعُونَ الْأَرْحَامَ؛ وَ لِهَذَا قَالَ:

{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ }

وَ هَذَا نَهْيٌ عَنِ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ عُمُومًا، وَ عَنْ قَطْعِ الْأَرْحَامِ خُصُوصًا، بَلْ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِصْلَاحِ فِي الْأَرْضِ وَ صِلَةِ الْأَرْحَامِ،
وَ هُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقَارِبِ فِي الْمَقَالِ وَ الْأَفْعَالِ وَ بَذْلِ الْأَمْوَالِ.
وَ قَدْ وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ وَالْحِسَانُ بِذَلِكَ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ طُرُقٍ عَدِيدَةٍ، وَ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ.
قَالَ الْبُخَارِيُّ(4830) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
"خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ
فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ،
فَقَالَ: مَهْ! فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ.
فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟
قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَذَاكَ
قال أبو هريرة: اقرؤوا إِنْ شِئْتُمْ:
{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}

*** 20734حم

عَنْ أَبِي بَكَرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
" مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ
مَعَ مَا يُؤَخَّرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ بَغْيٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ "
قَالَ وَكِيعٌ: " أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ "
وَ قَالَ يَزِيدُ: " يُعَجِّلُ اللهُ "

{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ }

أفسدوا في الأرض، و قطعوا أرحامهم

{لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ }

بأن أبعدهم عن رحمته، و قربوا من سخط الله.

{فَأَصَمَّهُمْ }

أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم و لا يبصرونه، فلهم آذان،

و لكن لا تسمع سماع إذعان و قبول،

و إنما تسمع سماعا تقوم به حجة الله عليها،

(وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ)

و لهم أعين ولكن لا يبصرون بها العبر و الآيات،

و لا يلتفتون بها إلى البراهين و البينات.

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ)

أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، و يتأملونه حق التأمل،

فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، و لحذرهم من كل شر

و لملأ قلوبهم من الإيمان، و أفئدتهم من الإيقان

و لأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية

و لبين لهم الطريق الموصلة إلى الله

و إلى جنته و مكملاتها و مفسداتها، و الطريق الموصلة إلى العذاب و بأي شيء تحذر، و لعرفهم بربهم، و أسمائه و صفاته و إحسانه و لشوقهم إلى الثواب الجزيل، و رهبهم من العقاب الوبيل.

{ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }

أي: قد أغلق على ما فيها من الشر

و أقفلت فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع.

إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾

(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ)

يخبر تعالى عن حالة المرتدين عن الهدى و الإيمان على أعقابهم إلى الضلال

و الكفران، ذلك لا عن دليل دلهم و لا برهان،

(الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ)

وإنما هو تسويل من عدوهم الشيطان و تزيين لهم،

*الميسر:الشيطان زيّن لهم خطاياهم

(وَأَمْلَى لَهُمْ)

*الميسر:و مدّ لهم في الأمل.

و إملاء منه لهم:

{ يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [النساء: 120]

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ)

وذلك أنهم قد تبين لهم الهدى، فزهدوا فيه و رفضوه،

و {قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ}

من المبارزين العداوة لله و لرسوله

{سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ}

أي: الذي يوافق أهواءهم،

فلذلك عاقبهم الله بالضلال، و الإقامة على ما يوصلهم إلى الشقاء الأبدي، و العذاب السرمدي.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ }

فلذلك فضحهم، و بينها لعباده المؤمنين، لئلا يغتروا بها.

*** كقوله{وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ} [النساء: 81]

{فَكَيْفَ }

ترى حالهم الشنيعة، و رؤيتهم الفظيعة

{إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ}

الموكلون بقبض أرواحهم

{يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ }

بالمقامع الشديدة؟!.

***كقوله

{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } [الأنفال: 50]

*** {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: 93]

{ ذَٰلِكَ }

العذاب الذي استحقوه و نالوه

{بِـ} سبب

{بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ}

من كل كفر و فسوق و عصيان.

{وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ}

فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه، و لا يدنيهم منه

{فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ}

أي: أبطلها و أذهبها، و هذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله و كره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته، و يضاعف أجره و ثوابه.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى:

{أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ}

من شبهة أو شهوة، بحيث تخرج القلب عن حال صحته و اعتداله،

(أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ)

أن الله لا يخرج ما في قلوبهم من الأضغان و العداوة للإسلام و أهله؟

هذا ظن لا يليق بحكمة الله،

فإنه لا بد أن يميز الصادق من الكاذب،

و ذلك بالابتلاء بالمحن :-

-التي من ثبت عليها، ودام إيمانه فيها، فهو المؤمن حقيقة،

-و من ردته على عقبيه فلم يصبر عليها، و حين أتاه الامتحان،

جزع و ضعف إيمانه، و خرج ما في قلبه من الضغن، و تبين نفاقه،

هذا مقتضى الحكمة الإلهية،

*** أَيْ: اعْتَقَدَ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَكْشِفُ أَمْرَهُمْ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ؟
بَلْ سَيُوَضِّحُ أَمْرَهُمْ وَيُجَلِّيهِ حَتَّى يَفْهَمَهُمْ ذَوُو الْبَصَائِرِ،
وَ قَدْ أَنْزَلَ تَعَالَى فِي ذَلِكَ سُورَةَ "بَرَاءَةَ"، فَبَيَّنَ فِيهَا فَضَائِحَهُمْ
وَ مَا يَعْتَمِدُونَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الدَّالَّةِ عَلَى نِفَاقِهِمْ؛
وَ لِهَذَا إِنَّمَا كَانَتْ تُسَمَّى الْفَاضِحَةَ.

وَ الْأَضْغَانُ: جَمْعُ ضِغْنٍ،
وَ هُوَ مَا فِي النُّفُوسِ مِنَ الْحَسَدِ وَ الْحِقْدِ لِلْإِسْلَامِ وَ أَهْلِهِ وَ الْقَائِمِينَ بِنَصْرِهِ.

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ
لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ
مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ
وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟
وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ
تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ
ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾
(وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ)

أي: بعلاماتهم التي هي كالوسم في وجوههم.

{وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ}

أي: لا بد أن يظهر ما في قلوبهم، ويتبين بفلتات ألسنتهم،

فإن الألسن مغارف القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير و الشر

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}

فيجازيكم عليها.

ثم ذكر أعظم امتحان يمتحن به عباده، و هو الجهاد في سبيل الله، فقال:

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ}

أي: نختبر إيمانكم و صبركم،

{حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ}

فمن امتثل أمر الله وجاهد في سبيل الله لنصر دينه و إعلاء كلمته

فهو المؤمن حقا، و من تكاسل عن ذلك، كان ذلك نقصا في إيمانه.

*الميسر:حتى يظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛

لنميز أهل الجهاد منكم و الصبر على قتال أعداء الله،

{وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ}

*الميسر:و نختبر أقوالكم و أفعالكم،

فيظهر الصادق منكم من الكاذب.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ)

هذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها، من الكفر بالله،

و صد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلا إليه.

{وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ}

أي: عاندوه و خالفوه عن عمد و عناد، لا عن جهل وغي و ضلال، فإنهم

{لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا}

فلا ينقص به ملكه.

{وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ}

أي: مساعيهم التي بذلوها في نصر الباطل،

بأن لا تثمر لهم إلا الخيبة و الخسران،

و أعمالهم التي يرجون بها الثواب، لا تقبل لعدم وجود شرطها.

❁ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ)

يأمر تعالى المؤمنين بأمر به تتم أمورهم،

و تحصل سعادتهم الدينية و الدنيوية،

و هو: طاعته وطاعة رسوله في أصول الدين و فروعه،

و الطاعة هي امتثال الأمر،

و اجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص

و تمام المتابعة.

و قـــــوله: {وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ}

يشمل النهي عـــــن :-

1-إبطالها بعد عملها، بما يفسدها،من من بها و إعجاب، و فخر و سمعة،

و من عمل بالمعاصي التي تضمحل معها الأعمال، و يحبط أجرها،

2-و يشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها،

أو الإتيان بمفسد من مفسداتها.

فمبطلات الصلاة والصيام و الحج و نحوها،

كلها داخلة في هذا، و منهي عنها،

و يستدل الفقهاء بهذه الآية على:-

1-تحريم قطع الفرض،

2-و كراهة قطع النفل، من غير موجب لذلك

و إذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال

فهو أمر بإصلاحها وإكمالها وإتمامها

و الإتيان بها، على الوجه الذي تصلح به علما وعملا.

*****قال بن كثير:تبطلوا : اي بالردة**

لما في الاية بعدها رقم34

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ 34 فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ 35

هذه الآية والتي في البقرة قوله:

{وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ}217

***كقوله {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: 48]

مقيدتان، لكل نص مطلق، فيه إحباط العمل بالكفر،

فإنه مقيد بالموت عليه،

فقال هنا:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ }

بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر

{وَصَدُّواْ }

الخلق

{عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ }

بتزهيدهم إياهم بالحق، و دعوتهم إلى الباطل، و تزيينه،

{ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ }

لم يتوبوا منه،

{فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ }

لا بشفاعة و لا بغيرها، لأنه قد تحتم عليهم العقاب،

و فاتهم الثواب، و وجب عليهم الخلود في النار

و سدت عليهم رحمة الرحيم الغفار.

و مفهوم الآية الكريمة:-

أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم

فإن الله يغفر لهم و يرحمهم، و يدخلهم الجنة،

و لو كانوا مفنين أعمارهم في الكفر به والصد عن سبيله،

و الإقدام على معاصيه،

❍فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحمة،

و لم يغلقها عن أحد، ما دام حيا متمكنا من التوبة.

و سبحان الحليم، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة

بل يعافيهم، و يرزقهم، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم.

ثم قال تعالى:

فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾

{ فَلَا تَهِنُوا۟ }

أي: لا تضعفوا عن قتال عدوكم

و يستولي عليكم الخوف

بل اصبروا و اثبتوا

و وطنوا أنفسكم على القتال و الجلاد

طلبا لمرضاة ربكم و نصحا للإسلام و إغضابا للشيطان.

(وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ)

و لا تدعوا إلى المسالمة و المتاركة بينكم و بين أعدائكم، طلبا للراحة

{و} الحال أنكم

{وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ}

***يحبطها

❍يسلبها–بل يوفيكم ثوابها و لا ينقصكم منها شيئا

{أَعْمَٰلَكُمْ }

فهذه الأمور الثلاثة، كل منها مقتض للصبر و عدم الوهن كونهم الأعلين،

أي: قد توفرت لهم أسباب النصر

و وعدوا من الله بالوعد الصادق

فـــــإن الإنســـــان، لا يهـــــن إلا إذا كـــــان

أذل من غيره– و أضعف عددا– و عددا– و قوة داخلية– و خارجية.

الثاني:

أن الله معهم، فإنهم مؤمنون،

و الله مع المؤمنين، بالعون، و النصر، و التأييد

و ذلك موجب لقوة قلوبهم، وإقدامهم على عدوهم.

الثالث:

أن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئا، بل سيوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله، خصوصا عبادة الجهاد، فإن النفقة تضاعف فيه، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة،

***قال بن كثير {فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ}

أَيْ: فِي حَالِ عُلُوِّكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْكُفَّارُ فِيهِمْ قُوَّةٌ وَ كَثْرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
وَرَأَى الْإِمَامُ فِي الْمُعَاهَدَةِ وَالْمُهَادَنَةِ مَصْلَحَةً
فَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، كَمَا فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَدَّهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ عَنْ مَكَّةَ، وَدَعَوْهُ إِلَى الصُّلْحِ وَوَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عَشْرَ سِنِينَ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ.

و قال تعالى:

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ120 وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ121)}التوبة

فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله وجهاده،

أوجب له ذلك النشاط، و بذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب،

فكيف إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة:-

فإن ذلك يوجب النشاط التام،

فهذا من ترغيب الله لعباده، و تنشيطهم،

و تقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم و فلاحهم.

إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكْكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا

يَبۡخَلۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

(إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا)

هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها،بأنها

(لَعِبٞ)

في الأبدان

(وَلَهۡوٞۚ)

في القلوب،

فلا يزال العبد لاهيا في ماله، و أولاده، و زينته، و لذاته من النساء، و المآكل و المشارب، و المساكن و المجالس، و المناظر و الرياسات، لاعبا في كل عمل لا فائدة فيه،

بل هو دائر بين البطالة و الغفلة و المعاصي،

حتى تستكمل دنياه، و يحضره أجله،

❍فإذا هذه الأمور قد ولت و فارقت، و لم يحصل العبد منها على طائل، بل قد تبين له خسرانه وحرمانه، و حضر عذابه،

فهذا موجب للعاقل الزهد فيها،و عدم الرغبة فيها، و الاهتمام بشأنها، و إنما الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله:

{وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ }

بأن تؤمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

و تقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته،

و هي العمل بمرضاته على الدوام،

مع ترك معاصيه، فهذا الذي ينفع العبد،

و هو الذي ينبغي أن يتنافس فيه،

و تبذل الهمم والأعمال في طلبه،

و هو مقصود الله من عباده رحمة بهم و لطفا ليثيبهم الثواب الجزيل،

و لهذا قال:

{وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ }

أي: لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم،

و يعنتكم من أخذ أموالكم، و بقائكم بلا مال، أو ينقصكم نقصا يضركم،

و لهذا قال:

{إِن يَسْئَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ}

أي: ما في قلوبكم من الضغن، إذا طلب منكم ما تكرهون بذله.

و الدليل على أن الله لو طلب منكم أموالكم

(فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا)

*الميسر:فيُلِحّ عليكم ويجهدكم

و أحفاكم بسؤالها، أنكم تمتنعون منها، أنكم

{هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}

على هذا الوجه، الذي فيه مصلحتكم الدينية والدنيوية.

{فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ}

أي: فكيف لو سألكم، و طلب منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟

أليس من باب أولى و أحرى امتناعكم من ذلك.

ثم قال: {وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ}

لأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى

و فاته خير كثير، و لن يضر الله بترك الإنفاق شيئا.

فإن الله هو {وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ}

تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم، لجميع أموركم.

{وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ}

عن الإيمان بالله، وامتثال ما يأمركم به

{يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم}

في التولي،

بل يطيعون الله و رسوله، و يحبون الله و رسوله،

كما قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54]

48- سورة الفتح-و هي مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي
قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ
وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
﴿٩﴾

48-تفسير سورة الفتح-و هي مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾

*جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول

صحيح البخاري4844

عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ:

أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ، فَقَالَ:
كُنَّا بِصِفِّينَ فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ، فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ:
اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ - يَعْنِي الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالمُشْرِكِينَ - وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا،
فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟
أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى»
قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»
فَرَجَعَ مُتَغَيِّظًا فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ
فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟
قَالَ: يَا ابْنَ الخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَ لَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا)

هذا الفتح المذكور هو صلح الحديبية،

حين صد المشركون رسول الله ﷺلما جاء معتمرا في قصة طويلة،

صار آخر أمرها أن صالحهم رسول الله ﷺعلى وضع الحرب بينه و بينهم عشر سنين

و على أن يعتمر من العام المقبل

و على أن من أراد أن يدخل في عهد قريش وحلفهم دخل

و من أحب أن يدخل في عهد رسول الله ﷺو عقده فعل.

و بسبب ذلك لما أمن الناس بعضهم بعضا،

اتسعت دائرة الدعوة لدين الله عز وجل،

و صار كل مؤمن بأي محل كان من تلك الأقطار، يتمكن من ذلك،

وأمكن الحريص على الوقوف على حقيقة الإسلام،

فدخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجا،

فلذلك سماه الله فتحا و وصفه بأنه فتح مبين: أي: ظاهر جلي،

و ذلك لأن المقصود في فتح بلدان المشركين إعزاز دين الله،

و انتصار المسلمين،

و هذا حصل بذلك الفتح، و رتب الله على هذا الفتح عدة أمور،

فقال: {لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}

وذلك –والله أعلم– بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة

و الدخول في الدين بكثرة

و بما تحمل صلى الله عليه وسلم من تلك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين،

و هذا من أعظم مناقبه وكراماته ﷺ

أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

{وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ}

بإعزاز دينك، و نصرك على أعدائك، و اتساع كلمتك،

{وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا}

تنال به السعادة الأبدية، و الفلاح السرمدي.

*** صحيح مسلم (794)
عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيَّ، يَقُولُ:
«قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فِي مَسِيرٍ لَهُ سُورَةَ الْفَتْحِ عَلَى رَاحِلَتِهِ،
فَرَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ»
قَالَ مُعَاوِيَةُ:
«لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيَّ النَّاسُ لَحَكَيْتُ لَكُمْ قِرَاءَتَهُ( )
صحيح البخاري (4150)
عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:
تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا،
وَ نَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ،
كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ،
فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً،
فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَاهَا، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا
ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ،
ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا،
فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ،
ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَ رِكَابَنَا»( )

(فرجع في قراءته) قال القاضي أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها قال أبو عبيد والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق قال واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم
وأباحهم أبو حنيفة وجماعة من السلف والترجيع ترديد الصوت في الحلق
وقد حكى عبد الله بن مغفل ترجيعه عليه السلام بمد الصوت في القراءة نحو آآآ
قال ابن الأثير وهذا إنما حصل منه والله أعلم يوم الفتح
لأنه كان راكبا فحدث الترجيع في صوته]

{وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا} أي: قويا لا يتضعضع فيه الإسلام بل يحصل الانتصار التام، وقمع الكافرين، وذلهم ونقصهم مع توفر قوى المسلمين ونموهم، ونمو أموالهم.

*** صحيح مسلم (2588)

عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»

(ما نقصت صدقة من مال) ذكروا فيه وجهين:

أحدهما معناه أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة

والثاني أنه وإن نقصت صورته كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة

(وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا) فيه أيضا وجهان:

□ (بيعة الرضوان) سميت بيعة الرضوان لقوله تعالى فيها {لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك} / الفتح 18 /.

وعدُّوها هي الفتح العظيم لأنها كانت مقدمة لفتح مكة بل كانت سببا لانتشار الإسلام ودخول القبائل فيه إذ أمنوا من قريش وتفرغ النبي ﷺ لدعوتهم

كما كانت البيعة سببا لرضوان الله عز وجل.

(فنزحناها) أخذنا ماءها شيئا فشيئا.

(فتركناها غير بعيد) تركناها مدة من الزمن قليلة.

(أصدرتنا) أخرجت لنا وأرجعت ماء عوضا عن الذي نزح منها.

(ما شئنا) القدر الذي نرغبه ونريده لشرب وغيره.

(بركابنا) هي الإبل التي يسار عليها ونحوها]

أحدهما على ظاهره ومن عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه

والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك

(وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) فيه أيضا وجهان:

أحدهما يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه

والثاني أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا

قال العلماء وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة

وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة]

ثم ذكر آثار هذا الفتح على المؤمنين فقال:

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾

(هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ)

يخبر تعالى عن منته على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم،

و هي السكون و الطمأنينة، و الثبات عند نزول المحن المقلقة،

و الأمور الصعبة

التي تشوش القلوب، و تزعج الألباب، و تضعف النفوس،

فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبته و يربط على قلبه،
وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة

(لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ)

فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه،
و يتم إيقانه، فالصحابة ﷺلما جرى ما جرى بين رسول الله ﷺوالمشركين،
من تلك الشروط التي ظاهرها أنها غضاضة عليهم، و حط من أقدارهم،
و تلك لا تكاد تصبر عليها النفوس
فلما صبروا عليها و وطنوا أنفسهم لها، ازدادوا بذلك إيمانا مع إيمانهم.

و قوله:{وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ}

جميعها في ملكه، و تحت تدبيره و قهره،
فلا يظن المشركون أن الله لا ينصر دينه و نبيه،

(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)

و لكنه تعالى عليم حكيم،
فتقتضي حكمته المداولة بين الناس في الأيام،
و تأخير نصر المؤمنين إلى وقت آخر.

*** تفسير ابن كثير ت سلامة

وَلَوْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مَلَكًا وَاحِدًا لَأَبَادَ خَضْرَاءَهُمْ،
وَ لَكِنَّهُ تَعَالَى شَرَّعَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ وَالْقِتَالَ،
لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَ الْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ، وَالْبَرَاهِينِ الدَّامِغَةِ؛
وَ لِهَذَا قَالَ: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}

لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ

*جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول

مسند أحمد ط الرسالة

12374 - حَدَّثَنَا بَهْزٌ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ،
أَنَّهَا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَرْجِعَهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ،
وَ أَصْحَابُهُ مُخَالِطُونَ الْحُزْنَ وَ الْكَآبَةَ،
وَ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنَاسِكِهِمْ
وَ نَحَرُوا الْهَدْيَ بِالْحُدَيْبِيَةِ،{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح:1]

إِلَى قَوْلِهِ: {صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [النساء68]
قَالَ:" لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَتَانِ، هُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا ".
قَالَ: فَلَمَّا تَلَاهُمَا قَالَ رَجُلٌ:
هَنِيئًا مَرِيئًا يَا نَبِيَّ اللهِ،
قَدْ بَيَّنَ اللهُ لَكَ مَا يُفْعَلُ بِكَ، فَمَا يُفْعَلُ بِنَا،
فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْآيَةَ الَّتِي بَعْدَهَا:
{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}[الفتح:5]
حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ

***صحيح البخاري (4172)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح: 1].
قَالَ: الحُدَيْبِيَةُ قَالَ أَصْحَابُهُ: هَنِيئًا مَرِيئًا، فَمَا لَنَا؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}
[الفتح: 5]
قَالَ شُعْبَةُ: فَقَدِمْتُ الكُوفَةَ، فَحَدَّثْتُ بِهَذَا كُلِّهِ عَنْ قَتَادَةَ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ
فَقَالَ أَمَّا: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ} [الفتح: 1].
فَعَنْ أَنَسٍ وَ أَمَّا هَنِيئًا مَرِيئًا، فَعَنْ عِكْرِمَةَ( )
❍فهذا أعظم ما يحصل للمؤمنين،
أن يحصل لهم المرغوب المطلوب بدخول الجنات،
ويزيل عنهم المحذور بتكفير السيئات.

{وَكَانَ ذَٰلِكَ }
الجزاء المذكور للمؤمنين

{عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا }
فهذا ما يفعل بالمؤمنين في ذلك الفتح المبين.

(فتحا) هو الظفر بالبلدة قهرا أو صلحا بقتال وبغيره والمراد هنا صلح الحديبية لما كان بسببه من انتشار الإسلام. (مبينا) ظاهرا /
(أصحابه) أي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.
(هنيئا مريئا) أي للنبي ﷺ ما من عليه من مغفرة بهذا الفتح إذ قال تعالى {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر}
والهنيئ الذي لا ينغصه شيء والمرئ المحمود العاقبة الذي لا داء فيه وهما في الأصل لما يؤكل ويشرب ويستعاران للمعاني كما هنا.
(فمالنا) أي فما هو حظنا من هذا الفتح وما ربحنا.
(ليدخل) بسبب الفتح. / الفتح 5

(وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ)

و أما المنافقون و المنافقات، و المشركون و المشركات

فإن الله يعذبهم بذلك،

و يريهم ما يسوءهم؛ حيث كان مقصودهم خذلان المؤمنين،

(ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ)

و ظنوا بالله الظن السوء، أنه لا ينصر دينه، و لا يعلي كلمته،

و أن أهل الباطل، ستكون لهم الدائرة على أهل الحق

فأدار الله عليهم ظنهم، وكانت دائرة السوء عليهم في الدنيا،

{وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ }

بما اقترفوه من المحادة لله ولرسوله،

{وَلَعَنَهُمْ }

أي: أبعدهم و أقصاهم عن رحمته

{وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا }

(وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ)

كرر الإخبار بأن له ملك السماوات و الأرض و ما فيهما من الجنود،

ليعلم العباد أنه تعالى هو المعز المذل،

و أنه سينصر جنوده المنسوبة إليه،

كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}

{وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا}

أي: قويا غالبا، قاهرا لكل شيء،

و مع عزته و قوته فهو {حَكِيمًا}

في خلقه و تدبيره، يجري على ما تقتضيه حكمته و إتقانه.

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩

أي: {إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ}

أيها الرسول الكريم

{شَٰهِدٗا}

لأمتك بما فعلوه من خير و شر،

و شاهدا على المقالات و المسائل، حقها و باطلها،

و شاهدا لله تعالى بالوحدانية و الانفراد بالكمال من كل وجه،

{وَمُبَشِّرٗا}

من أطاعك و أطاع الله بالثواب الدنيوي و الديني و الأخروي،

{وَنَذِيرٗا}

و منذرا من عصى الله بالعقاب العاجل و الآجل،

و من تمام البشارة و النذارة، بيان الأعمال والأخلاق التي يبشر بها و ينذر، فهو المبين للخير والشر، و السعادة و الشقاوة، و الحق من الباطل،

و لهذا رتب على ذلك قوله: {لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}

أي: بسبب دعوة الرسول لكم، و تعليمه لكم ما ينفعكم،

أرسلناه لتقوموا بالإيمان بالله و رسوله،

المستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور.

{وَتُعَزِّرُوهُ }

وتنصروه

{ وَتُوَقِّرُوهُ }

أي: تعزروا الرسول ﷺو توقروه

أي: تعظموه و تجلوه، و تقوموا بحقوقه،

كما كانت له المنة العظيمة برقابكم،

{وَتُسَبِّحُوهُ }

أي: تسبحوا لله

{بُكْرَةً وَأَصِيلًا }

أول النهار و آخره

فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله و بين رسوله، و هـــــو:

الإيمان بهما،

و المختص بالرسول، و هو التعـــــزير و التـــــوقير،

و المختص بالله، و هو التسبيح له و التقديس بصلاة أو غيرها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ
نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ
ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا
لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ
كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ
أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمۡ
يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ
ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن
يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ
تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ
عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا)

بيعة الرضوان التي بايع الصحابة رضي الله عنهم فيها رسول الله ﷺ، على أن لا يفروا عنه، فهي عقد خاص، من لوازمه أن لا يفروا،

و لو لم يبق منهم إلا القليل،

و لو كانوا في حال يجوز الفرار فيها،

فأخبر تعالى: أن الذين بايعوك حقيقة الأمر أنهم

{يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ}

و يعقدون العقد معه، حتى إنه من شدة تأكده أنه قال:

{يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ }

أي: كأنهم بايعوا الله و صافحوه بتلك المبايعة،

و كل هذا لزيادة التأكيد و التقوية، و حملهم على الوفاء بها،

***أَيْ: هُوَ حَاضِرٌ مَعَهُمْ يَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ وَ يَرَى مَكَانَهُمْ،
وَ يَعْلَمُ ضَمَائِرَهُمْ وَ ظَوَاهِرَهُمْ،

فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسوله كقوله:-

{ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة: 111]

راجع بحث7 احاديث وردت في شأن الحديبية من هنا

صحيح مسلم (2780)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ، ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ، فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»
قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا، خَيْلُ بَنِي الْخَزْرَجِ، ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ،

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«وَ كُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ»
فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ، يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،
فَقَالَ: وَاللهِ لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ،
قَالَ وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ( )
صحيح مسلم (2496)
جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ،
أَنَّهَا سَمِعَتِ ﷺيَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ:
«لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ،
الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»
قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ فَانْتَهَرَهَا،
فَقَالَتْ حَفْصَةُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [مريم: 71]
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:
{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: 72]

و لهذا قال:

{فَمَن نَّكَثَ }

(من يصعد الثنية ثنية المرار) هكذا هو في الرواية الأولى المرار
وفي الثانية المرار أو المرار بضم الميم وفتحها على الشك وفي بعض النسخ بضمها أو كسرها
والمرار شجر مر
وأصل الثنية الطريق بين الجبلين وهذه الثنية عند الحديبية
قال الحازمي قال ابن إسحاق هي مهبط الحديبية
(إلا صاحب الأحمر) قال القاضي قيل هذا الرجل هو الجد بن قيس المنافق
(ينشد ضالة) أي يسأل عنها]

فلم يف بما عاهد الله عليه

{فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ }

أي: لأن وبال ذلك راجع إليه، و عقوبته واصلة له،

{وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ}

أي: أتى به كاملا موفرا،

{فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا }

لا يعلم عظمه و قدره إلا الذي آتاه إياه.

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾

بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾

وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾

(سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا)

يذم تعالى المتخلفين عن رسوله، في الجهاد في سبيله،

من الأعراب الذين ضعف إيمانهم،

و كان في قلوبهم مرض، و سوء ظن بالله تعالى،

و أنهم سيعتذرون بأن أموالهم و أهليهم شغلتهم عن الخروج في الجهاد،

و أنهم طلبوا من رسول الله ﷺأن يستغفر لهم،

قال الله تعالى: {فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ }

فإن طلبهم الاستغفار من رسول الله ﷺيدل على:-

ندمهم و إقرارهم على أنفسهم بالذنب،

و أنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة و استغفار،

{يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا}

فلو كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعا لهم،

لأنهم قد تابوا وأنابوا، ولكن الذي في قلوبهم،

أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء.

{ بَلۡ ظَنَنتُمۡ}

فظنوا

{أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا}

أي: إنهم سيقتلون ويستأصلون،

(وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورَۢا)

ولم يزل هذا الظن يزين في قلوبهم، ويطمئنون إليه،حتى استحكم،

و سبـــــب ذلك أمـــــران:

أحدها:

أنهم كانوا {قَوْمًا بُورًا} أي: هلكى، لا خير فيهم،

فلو كان فيهم خير لم يكن هذا في قلوبهم.

الثاني:

ضعف إيمانهم و يقينهم بوعد الله، و نصر دينه، و إعلاء كلمته،

و لهذا قال: (وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا)

أي: فإنه كافر مستحق للعقاب،

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾

{وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ}

أي: هو تعالى المنفرد بملك السماوات والأرض،

يتصرف فيهما بما يشاء مـــــن:-

الأحكام القدرية، و الأحكام الشرعية، و الأحكام الجزائية،

و لهذا ذكر حكم الجزاء المرتب على الأحكام الشرعية،

فقال: {يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ}

و هو من بما أمره الله به

{وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ}

ممن تهاون بأمر الله،

{وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا }

أي: وصفه اللازم الذي لا ينفك عنه المغفرة و الرحمة،

فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين،

و يتجاوز عن الخطائين،

و يتقبل توبة التائبين،

و ينزل خيره المدرار، آناء الليل و النهار.

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

(سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا)

لما ذكر تعالى المخلفين و ذمهم، ذكر أن من عقوبتهم الدنيوية،

أن رسول الله ﷺوأصحابه إذا انطلقوا إلى غنائم لا قتال فيها ليأخذوها،

طلبوا منهم الصحبة و المشاركة،

و يقولون:{ يُرِيدُونَ }

بذلك

{أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ}

حيث حكم بعقوبتهم،

و اختصاص الصحابة المؤمنين بتلك الغنائم، شرعا و قدرا.

{قُل }

لهم

{لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ}

إنكم محرومون منها بما جنيتم على أنفسكم،و بما تركتم القتال أول مرة.

{فَسَيَقُولُونَ }

مجيبين لهذا الكلام، الذي منعوا به عن الخروج:

{بَلْ تَحْسُدُونَنَا }

على الغنائم، هذا منتهى علمهم في هذا الموضع،

و لو فهموا رشدهم، لعلموا أن حرمانهم بسبب عصيانهم،

و أن المعاصي لها عقوبات دنيوية و دينية،

و لهذا قال: {بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا}

احاديث وردت فى شأن الحديبية العودة

للتفسير

صحيح مسلم (1856)

عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ، فَبَايَعْنَاهُ وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ،

وَقَالَ: «بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ، وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ»

صحيح البخاري (2960)

عَنْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ عَدَلْتُ إِلَى ظِلِّ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا خَفَّ النَّاسُ

قَالَ: «يَا ابْنَ الأَكْوَعِ أَلاَ تُبَايِعُ؟» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَيْضًا»

فَبَايَعْتُهُ الثَّانِيَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا مُسْلِمٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُبَايِعُونَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: عَلَى المَوْتِ

صحيح مسلم (1807)

حديث إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ بن الاكوع ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيهَا،

قالَ: فَقَعَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَبَا الرَّكِيَّةِ، فَإِمَّا دَعَا، وَإِمَّا بَصَقَ فِيهَا،
قالَ: فَجَاشَتْ، فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا،
قالَ: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ
قالَ: فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ، ثُمَّ بَايَعَ، وَبَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَسَطٍ مِنَ النَّاسِ
قالَ: «بَايِعْ يَا سَلَمَةُ» قالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ،
قالَ: «وَأَيْضًا»، قالَ: وَرَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺعَزَلًا - يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ -، قالَ: فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَفَةً - أَوْ دَرَقَةً -،
ثُمَّ بَايَعَ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ،
قالَ: «أَلَا تُبَايِعُنِي يَا سَلَمَةُ؟» قالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ، قالَ: «وَأَيْضًا»، قالَ: فَبَايَعْتُهُ الثَّالِثَةَ
ثُمَّ قالَ لِي: «يَا سَلَمَةُ، أَيْنَ حَجَفَتُكَ - أَوْ دَرَقَتُكَ - الَّتِي أَعْطَيْتُكَ؟»
قالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقِيَنِي عَمِّي عَامِرٌ عَزَلًا، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا،
قالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَقالَ: " إِنَّكَ كَالَّذِي قالَ الْأَوَّلُ: اللهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي "
ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا الصُّلْحَ حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ، وَاصْطَلَحْنَا،
قالَ: وَكُنْتُ تَبِيعًا لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ أَسْقِي فَرَسَهُ، وَأَحُسُّهُ، وَأَخْدِمُهُ، وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ، وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
قالَ: فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا،
قالَ: فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَجَعَلُوا يَقَعُونَ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَبْغَضْتُهُمْ، فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى، وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ وَاضْطَجَعُوا،
فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ،
قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ، قالَ: فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ، فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ، فَجَعَلْتُهُ ضِغْثًا فِي يَدِي،
قالَ: ثُمَّ قُلْتُ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ، لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ،
قالَ: ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،

قَالَ: وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلَاتِ، يُقَالُ لَهُ: مِكْرَزٌ ي
قُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَرَسٍ، مُجَفَّفٍ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،
فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَقَالَ: «دَعُوهُمْ، يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ، وَثِنَاهُ»، فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَأَنْزَلَ اللهُ: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} الْآيَةَ كُلَّهَا، قَالَ: ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي لِحْيَانَ جَبَلٌ، وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَاسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ رَقِيَ هَذَا الْجَبَلَ اللَّيْلَةَ كَأَنَّهُ طَلِيعَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ،
قَالَ سَلَمَةُ: فَرَقِيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ،
فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِهِ مَعَ رَبَاحٍ غُلَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا مَعَهُ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسِ طَلْحَةَ أُنَدِّيهِ مَعَ الظَّهْرِ،
فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَاقَهُ أَجْمَعَ، وَقَتَلَ رَاعِيَهُ،
قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ، خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ،
وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرْحِهِ،
قَالَ: ثُمَّ قُمْتُ عَلَى أَكَمَةٍ، فَاسْتَقْبَلْتُ الْمَدِينَةَ، فَنَادَيْتُ ثَلَاثًا: يَا صَبَاحَاهْ،
ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ وَأَرْتَجِزُ، أَقُولُ:
أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ،
فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّ سَهْمًا فِي رَحْلِهِ، حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ،
قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا
وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ قَالَ: فَوَاللهِ، مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ،
فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً، فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ،
حَتَّى إِذَا تَضَايَقَ الْجَبَلُ، فَدَخَلُوا فِي تَضَايُقِهِ، عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَجَعَلْتُ أُرَدِّيهِمْ بِالْحِجَارَةِ،
قَالَ: فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَخَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ،

ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، وَثَلَاثِينَ رُمْحًا، يَسْتَخِفُّونَ وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا مِنَ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ،
حَتَّى أَتَوْا مُتَضَايِقًا مِنْ ثَنِيَّةٍ، فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فُلَانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ،
فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ - يَعْنِي يَتَغَدَّوْنَ - وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ،
قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟ قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحَ، وَاللهِ،
مَا فَارَقَنَا مُنْذُ غَلَسٍ يَرْمِينَا حَتَّى انْتَزَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا، قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةٌ،
قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ، قَالَ: فَلَمَّا أَمْكَنُونِي مِنَ الْكَلَامِ،
قَالَ: قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟ قَالُوا: لَا، وَمَنْ أَنْتَ؟
قَالَ: قُلْتُ: أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكَنِي،
قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ، قَالَ: فَرَجَعُوا، فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ،
قَالَ: فَإِذَا أَوَّلُهُمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ، عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ،
وَعَلَى إِثْرِهِ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الْأَخْرَمِ،
قَالَ: فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، قُلْتُ: يَا أَخْرَمُ، احْذَرْهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ،
قَالَ: يَا سَلَمَةُ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ، قَالَ: فَخَلَّيْتُهُ، فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ،
قَالَ: فَعَقَرَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ، وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ، وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ،
وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ،
فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلَيَّ حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَلَا غُبَارَهِمْ شَيْئًا حَتَّى يَعْدِلُوا قِبَلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: ذُو قَرَدٍ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ،
قَالَ: فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ، فَخَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ - يَعْنِي أَجْلَيْتُهُمْ عَنْهُ –
فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً، قَالَ: وَيَخْرُجُونَ فَيَشْتَدُّونَ فِي ثَنِيَّةٍ،

قَالَ: فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ، قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ قَالَ: يَا ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ، أَكْوَعُهُ بُكْرَةً؟
قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ، أَكْوَعُكَ بُكْرَةً،
قَالَ: وَأَرْدَوْا فَرَسَيْنِ عَلَى ثَنِيَّةٍ،
قَالَ: فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ، وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ،
ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَأْتُهُمْ عَنْهُ،
فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺقَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكُلَّ رُمْحٍ وَبُرْدَةٍ، وَإِذَا بِلَالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ،
وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا،
قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، خَلِّنِي فَأَنْتَخِبُ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَتَّبِعُ الْقَوْمَ،
فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ،
قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ،
فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ، أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ،
فَقَالَ: «إِنَّهُمُ الْآنَ لَيُقْرَوْنَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ»،
قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ، فَقَالَ: نَحَرَ لَهُمْ فُلَانٌ جَزُورًا
فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا،
فَقَالُوا: أَتَاكُمُ الْقَوْمُ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ،
فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ»،
قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺسَهْمَيْنِ سَهْمَ الْفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا،
ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺوَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ،
قَالَ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ،
قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسْبَقُ شَدًّا،
قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: «أَلَا مُسَابِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ؟»
فَجَعَلَ يُعِيدُ ذَلِكَ قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ، قُلْتُ: أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا، وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا،
قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي وَأُمِّي، ذَرْنِي فَلْأُسَابِقَ الرَّجُلَ،

قَالَ: «إِنْ شِئْتَ»، قَالَ: قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَيْكَ وَثَنَيْتُ رِجْلَيَّ، فَطَفَرْتُ فَعَدَوْتُ،
قَالَ: فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا - أَوْ شَرَفَيْنِ - أَسْتَبْقِي نَفَسِي، ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثْرِهِ، فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا - أَوْ شَرَفَيْنِ -، ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ ،
قَالَ: فَأَصُكُّهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ سُبِقْتَ وَاللهِ، قَالَ: أَنَا أَظُنُّ،
قَالَ: فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ،
قَالَ: فَوَاللهِ، مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ:
فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ تَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا،
وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا، فَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا، وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا،
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا؟»
قَالَ: أَنَا عَامِرٌ، قَالَ: «غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ»،
قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺلِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ،
قَالَ: فَنَادَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَوْلَا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ،
قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ، قَالَ: خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ، وَيَقُولُ:
قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ، قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ، فَقَالَ:
قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ،
قَالَ: فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ،
وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ،
فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ، قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ،
فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ، قَتَلَ نَفْسَهُ،
قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺوَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ؟
قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟»
قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ: «كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»،
ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ:
«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ» - أَوْ «يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» -
قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا، فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ، فَقَالَ:
قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ،
فَقَالَ عَلِيٌّ:
أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ
قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ،
قَالَ إِبْرَاهِيمُ:
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، بِهَذَا الْحَدِيثِ بِطُولِهِ،

[شرح محمد فؤاد عبد الباقي]

[ش (جبا الركية) الجبا ما حول البئر والركي البئر والمشهور في اللغة ركي بغير هاء ووقع هنا الركية بالهاء وهي لغة حكاها الأصمعي وغيره
(وإما بسق) هكذا هو في النسخ بسق وهي صحيحة يقال بزق وبصق وبسق ثلاث لغات بمعنى والسين قليلة الاستعمال
(فجاشت) أي ارتفعت وفاضت يقال جاش الشيء يجيش جيشانا إذا ارتفع
(عزلا) ضبطوه بوجهين أحدهما فتح العين مع كسر الزاي والثاني ضمهما وقد فسره في الكتاب بالذي لا سلاح معه ويقال أيضا أعزل وهو الأشهر استعمالا
(حجفة أو درقة) هما شبيهتان بالترس
(إنك كالذي قال الأول) الذي صفة لمحذوف أي أنك كالقول الذي قاله الأول فالأول بالرفع فاعل والمراد به هنا المتقدم بالزمان يعني أن شأنك هذا مع ابن عمك يشبه فحوى القول الذي قاله الرجل المتقدم زمانه
(أبغني) أعطني
(راسلونا) هكذا هو في أكثر النسخ راسلونا من المراسلة أي أرسلنا إليهم وأرسلوا إلينا في أمر الصلح
(مشى بعضنا في بعض) في هنا بمعنى إلى أي مشى بعضنا إلى بع وربما كانت بمعنى مع فيكون المعنى مشى بعضنا مع بعض
(كنت تبيعا لطلحة) أي خادما أتبعه
(وأحسه) أي أحك ظهره بالمحسة لأزيل عنه الغبار ونحوه
(فكسحت شوكها) أي كنست ما تحتها من الشوك
(فاخترطت سيفي) أي سللته
(شددت) حملت وكررت
(ضغثا) الضغث الحزمة يريد أنه أخذ سلاحهم وجمع بعضه إلى بعض حتى جعله في يده حزمة قال في المصباح الأصل في الضغث أن يكون له قضبان يجمعها أصل واحد ثم كثر حتى استعمل فيما يجمع

(الذي فيه عيناه) يريد رأسه
(العبلات) أي عليه تجفاف وهو ثوب كالجل يلبسه الفرس ليقيه السلاح وجمعه تجافيف
(يكن لهم بدء الفجور وثناه) البدء وهو الابتداء وأما ثناه فمعناه عودة ثانية قال في النهاي أي أوله وآخره والثني الأمر يعاد مرتين
(وهم المشركون) هذه اللفظة ضبطوها بوجهين ذكرهما القاضي وغيره أحدهما وهم المشركون على الابتداء والخبر والثاني وهم المشركون أي هموا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخافوا غائلتهم يقال همني الأمر وأهمني وقيل همني أذابني وأهمني أغمني وقيل معناه هم أمر المشركين النبي صلى الله عليه وسلم خوف أن يبيتوهم لقربهم منهم
(بظهره) الظهر الإبل تعد للركوب وحمل الأثقال
(أنديه) معناه أن يورد الماشية الماء فتسقى قليلا ثم ترسل في المرعى ثم ترد الماء فترد قليلا ثم ترد إلى المرعى
(فأصك سهما في رحله) أي أضرب
(أرميهم وأعقر بهم) أي أرميهم بالنبل وأعقر خيلهم أصل العقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف ثم اتسع حتى استعمل في القتل كما وقع هنا وحتى صار يقال عقرت البعير أي نحرته
(حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه) التضايق ضد الاتساع أي تدانى فدخلوا في تضايقه أي المحل المتضايق منه بحيث استتروا به عنه فصار لا يبلغهم ما يرميهم به من السهام
(فجعلت أرديهم بالحجارة) يعني لما امتنع على رميهم بالسهام عدلت عن ذلك إلى رميهم من أعلى الجبل بالحجارة التي تسقطهم وتهورهم يقال ردى الفرس راكبه إذا أسقطه وهوره
قَوْلُهُ (جَعَلْتُ عَلَيْهِمْ آرَامًا مِنَ الْحِجَارَةِ) هُوَ بِهَمْزَةٍ مَمْدُودَةٍ ثُمَّ رَاءٍ مَفْتُوحَةٍ وَهِيَ الْأَعْلَامُ وَهِيَ حِجَارَةٌ تُجْمَعُ وَتُنْصَبُ فِي الْمَفَازَةِ يُهْتَدَى بِهَا وَاحِدُهَا إِرَمٌ كَعِنَبٍ وَأَعْنَابٍ
قَوْلُهُ (وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ) هُوَ بِفَتْحِ الْقَافِ وَإِسْكَانِ الرَّاءِ وَهُوَ كُلُّ جَبَلٍ صَغِيرٍ مُنْقَطِعٍ عَنِ الْجَبَلِ الْكَبِيرِ
قَوْلُهُ (لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحِ) هُوَ بِفَتْحِ الْبَاءِ وَإِسْكَانِ الرَّاءِ أَيْ شِدَّةٌ قَوْلُهُ (يتخللون الشجر أَيْ يَدْخُلُونَ مِنْ خِلَالِهَا أَيْ بَيْنَهَا

قَوْلُهُ (مَاءٌ يُقَالُ لَهُ ذَا قَرَدٍ) كَذَا هُوَ فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ الْمُعْتَمَدَةِ ذَا بِأَلِفٍ وَفِي بَعْضِهَا ذُو قَرَدٍ بِالْوَاوِ وَهُوَ الْوَجْهُ

قَوْلُهُ (فَحَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ) هُوَ بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ وَلَامٍ مُشَدَّدَةٍ غَيْرِ مَهْمُوزَةٍ أَيْ طَرَدْتُهُمْ عَنْهُ وَقَدْ فَسَّرَهُ فِي الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ يَعْنِي أَجْلَيْتُهُمْ عَنْهُ بِالْجِيمِ قَالَالْقَاضِي كَذَا رِوَايَتُنَا فِيهِ هُنَا غَيْرُ مَهْمُوزٍ قَالَ وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ فَسَهَّلَهُ وَقَدْ جَاءَ مَهْمُوزًا بَعْدَ هَذَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ

قَوْلُهُ (فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ) هُوَ بِنُونٍ مَضْمُومَةٍ ثم غيرن مُعْجَمَةٍ سَاكِنَةٍ ثُمَّ ضَادٍ مُعْجَمَةٍ وَهُوَ الْعَظْمُ الرَّقِيقُ عَلَى طَرَفِ الْكَتِفِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ تَحَرُّكِهِ وَهُوَ النَّاغِضُ أَيْضًا

قَوْلُهُ (يَا ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ أَكُوعُهُ بُكْرَةَ قُلْتُ نَعَمْ) مَعْنَى ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ فَقَدَتْهُ

وَقَوْلُهُ أَكْوَعُهُ هُوَ بِرَفْعِ الْعَيْنِ أَيْ أَنْتَ الْأَكْوَعُ الَّذِي كُنْتَ بُكْرَةَ هَذَا النَّهَارِ وَلِهَذَا قَالَ نَعَمْ وَبُكْرَةَ مَنْصُوبٌ غَيْرُ مَنُونٍ قَالَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ يُقَالُ أَتَيْتُهُ بُكْرَةَ بِالتَّنْوِينِ إِذَا أَرَدْتَ أَنَّكَ لَقِيتَهُ بَاكِرًا فِي يَوْمٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ قَالُوا وَإِنْ أَرَدْتَ بُكْرَةَ يَوْمٍ بِعَيْنِهِ قُلْتَ أَتَيْتُهُ بُكْرَةَ غَيْرُ مَصْرُوفٍ لِأَنَّهَا مِنَ الظُّرُوفِ غَيْرِ الْمُتَمَكِّنَةِ

قَوْلُهُ (وَأَرْدَوْا فَرَسَيْنِ عَلَى تَثْنِيَةٍ) قَالَ الْقَاضِي رِوَايَةُ الْجُمْهُورِ بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِالْمُعْجَمَةِ قَالَ وَكِلَاهُمَا مُتَقَارِبُ الْمَعْنَى فَبِالْمُعْجَمَةِ مَعْنَاهُ خَلَّفُوهُمَا وَالرَّدْيُ الضَّعِيفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَبِالْمُهْمَلَةِ مَعْنَاهُ أَهْلَكُوهُمَا وَأَتْعَبُوهُمَا حتى أسقطوهما تركوهما وَمِنْهُ التَّرْدِيَةُ وَأَرْدَتِ الْفَرَسُ الْفَارِسَ أَسْقَطَتْهُ

قَوْلُهُ وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَدَّقَةٌ مِنْ لَبَنٍ السَّطِيحَةُ إِنَاءٌ مِنْ جُلُودٍ سُطِحَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَالْمَدَّقَةُ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ الدَّالِ الْمُعْجَمَةِ قَلِيلٌ مِنْ لَبَنٍ مَمْزُوجٍ بِمَاءٍ

قَوْلُهُ (وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي حَلَأْتُهُمْ عَنْهُ) كَذَا هُوَ فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ حَلَأْتُهُمْ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْهَمْزِ وفي بعضها حليتهم عَنْهُ بِلَامٍ مُشَدَّدَةٍ غَيْرِ مَهْمُوزٍ وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ قَرِيبًا

قَوْلُهُ (نَحَرَ نَاقَةً مِن الْإِبِلِ الَّذِي اسْتَنْفِدْتَ مِنَ الْقَوْمِ) كَذَا فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ الَّذِي وَفِي بَعْضِهَا الَّتِي وَهُوَ أَوْجَهُ لِأَنَّ الْإِبِلَ مُؤَنَّثَةٌ وَكَذَا أَسْمَاءُ الْجُمُوعِ مِنْ غَيْرِ الْآدَمِيِّينَ وَالْأَوَّلُ صَحِيحٌ أَيْضًا وَأَعَادَ الضَّمِيرَ إِلَى الْغَنِيمَةِ لَا إِلَى لَفْظِ الْإِبِلِ

قَوْلُهُ (ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ) بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ أَيْ أَنْيَابُهُ وَقِيلَ أَضْرَاسُهُ وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ وَسَبَقَ بَيَانُهُ فِي كِتَابِ الصِّيَامِ

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ) هَذَا فِيهِ اسْتِحْبَابُ التَّنَاءِ عَلَى الشُّجْعَانِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ صَنِيعِهِمُ الْجَمِيلِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّرْغِيبِ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ فِي الْإِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ الْجَمِيلِ وَهَذَا كُلُّهُ فِي حَقِّ مَنْ يُؤْمَنُ الْفِتْنَةُ عَلَيْهِ بِإِعْجَابٍ وَنَحْوِهِ

قَوْلُهُ (ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَيْنِ سَهْمَ الْفَارِسِ وَسَهْمَ الرَّاجِلِ فَجَمَعَهُمَا لِي) هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ الزَّائِدَ عَلَى سَهْمِ الرَّاجِلِ كان نفلا

وَهُوَ حَقِيقٌ بِاسْتِحْقَاقِ النَّفْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لبديع صنعه في هذه الغزوة

قوله (وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يُسْبَقُ شَدًّا) يَعْنِي عَدْوًا عَلَى الرِّجْلَيْنِ

قَوْلُهُ (فَطَفَرْتُ) أَيْ وَثَبْتُ وَقَفَزْتُ

قَوْلُهُ (فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ أَسْتَبْقِي نَفَسِي) مَعْنَى رَبَطْتُ حَبَسْتُ نَفْسِي عَنِ الْجَرْيِ الشَّدِيدِ وَالشَّرَفُ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَقَوْلُهُ أَسْتَبْقِي نَفَسِي بِفَتْحِ الْقَافِ أَيْ لِئَلَّا يَقْطَعَنِي الْبَهْرُ وَفِي

هَذَا دَلِيلٌ لِجَوَازِ الْمُسَابَقَةِ عَلَى الْأَقْدَامِ وَهُوَ جَائِزٌ بِلَا خِلَافٍ إذَا تَسَابَقَا بِلَا عِوَضٍ فَإِنْ تَسَابَقَا عَلَى عِوَضٍ فَفِي صِحَّتِهَا خِلَافٌ الْأَصَحُّ عِنْدَ أَصْحَابِنَا لَا تَصِحُّ

قَوْلُهُ (فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بالقوم

هَكَذَا قَالَ هُنَا عَمِّي وَقَدْ سَبَقَ فِي حديث أبي الطاهر عن بن وَهْبٍ أَنَّهُ قَالَ أَخِي

فَلَعَلَّهُ كَانَ أَخَاهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَكَانَ عَمَّهُ مِنَ النَّسَبِ

قَوْلُهُ (يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ) هُوَ بِكَسْرِ الطَّاءِ أَيْ يَرْفَعُهُ مَرَّةً وَيَضَعُهُ أُخْرَى وَمِثْلُهُ خَطَرَ الْبَعِيرُ بِذَنَبِهِ يَخْطِرُ بِالْكَسْرِ إذَا رَفَعَهُ مَرَّةً وَوَضَعَهُ مَرَّةً

قَوْلُهُ (شَاكِ السِّلَاحِ) أَيْ تَامُّ السِّلَاحِ يُقَالُ رَجُلٌ شَاكِي السِّلَاحِ وَشَاكُ السِّلَاحِ وَشَاكٌ فِي السِّلَاحِ مِنَ الشَّوْكَةِ وَهِيَ الْقُوَّةُ وَالشَّوْكَةُ أَيْضًا السِّلَاحُ

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشوكة تكون لكم

قَوْلُهُ (بَطَلٌ مُجَرَّبٌ) هُوَ بِفَتْحِ الرَّاءِ أَيْ مجرب بالشجاعة وقهر الفرسان والبطل الشجاع يقال بَطُلَ الرَّجُلُ بِضَمِّ الطَّاءِ يَبْطُلُ بَطَالَةً وَبُطُولَةً أَيْ صَارَ شُجَاعًا

قَوْلُهُ (بَطَلٌ مُغَامِرٌ) بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ أَيْ يَرْكَبُ غَمَرَاتِ الْحَرْبِ وَشَدَائِدَهَا وَيُلْقِي نَفْسَهُ فِيهَا

قَوْلُهُ (وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ) أي يضربه من أسفله هو بِفَتْحِ الْيَاءِ وَإِسْكَانِ السِّينِ وَضَمِّ الْفَاءِ قَوْلُهُ (وَهُوَ أَرْمَدُ) قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ يُقَالُ رَمِدَ الْإِنْسَانُ بِكَسْرِ الْمِيمِ يَرْمَدُ بِفَتْحِهَا رَمَدًا فَهُوَ رَمِدٌ وَأَرْمَدُ إذْ هَاجَتْ عَيْنُهُ

قَوْلُهُ (أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ) حَيْدَرَةُ اسْمٌ لِلْأَسَدِ وَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ سُمِّيَ أَسَدًا فِي أَوَّلِ وِلَادَتِهِ وَكَانَ مَرْحَبٌ قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ أَسَدًا يَقْتُلُهُ فَذَكَّرَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ لِيُخِيفَهُ وَيُضْعِفَ نَفْسَهُ قَالُوا وَكَانَتْ أُمُّ عَلِيٍّ سَمَّتْهُ أَوَّلَ وِلَادَتِهِ أَسَدًا بِاسْمِ جَدِّهِ لِأُمِّهِ أَسَدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ غَائِبًا فَلَمَّا قَدِمَ سَمَّاهُ عَلِيًّا وَسُمِّيَ الْأَسَدُ حَيْدَرَةَ لِغِلَظِهِ وَالْحَادِرُ الْغَلِيظُ الْقَوِيُّ وَمُرَادُهُ أَنَا الأسد على جرأته وإقدامه وقوته

قوله (أو فيهم بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ) مَعْنَاهُ

أَقْتُلُ الْأَعْدَاءَ قَتْلًا وَاسِعًا ذَرِيعًا وَالسَّنْدَرَةُ مِكْيَالٌ وَاسِعٌ وَقِيلَ هِيَ الْعَجَلَةُ أَيْ أَقْتُلُهُمْ عَاجِلًا وَقِيلَ مَأْخُوذٌ مِنَ السَّنْدَرَةِ وَهِيَ شَجَرَةُ الصَّنَوْبَرِ يُعْمَلُ مِنْهَا النَّبْلُ وَالْقِسِيُّ

قَوْلُهُ (فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ) يَعْنِي عَلِيًّا فَقَتَلَهُ هَذَا هُوَ الْأَصَحُّ أَنَّ عَلِيًّا هُوَ قَاتِلُ مَرْحَبٍ وَقِيلَ إنَّ قاتل مرحب هو محمد بن مسلمة

قال بن عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِهِ الدُّرَرُ فِي مُخْتَصَرِ السير

قال محمد بن إسحاق ان محمد بن مَسْلَمَةَ هُوَ قَاتِلُهُ قالَ وَقالَ غَيْرُهُ إِنَّمَا كان قاتله عليا قال بن عَبْدِ الْبَرِّ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَنَا ثُمَّ رَوَى ذَلِكَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ سَلَمَةَ وَبُرَيْدَةَ

قالَ بن الْأَثِيرِ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ السِّيَرِ أَنَّ عَلِيًّا هُوَ قَاتِلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنْوَاعًا مِنَ الْعِلْمِ سِوَى مَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ مِنْهَا أَرْبَعُ مُعْجِزَاتٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اِحْدَاهَا تَكْثِيرُ مَاءِ الْحُدَيْبِيَةِ

وَالثَّانِيَةُ إِبْرَاءُ عَيْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَالثَّالِثَةُ الْإِخْبَارُ بِأَنَّهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ

وَقَدْ جَاءَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي رِوَايَةٍ غَيْرِ مُسْلِمٍ هَذِهِ

وَالرَّابِعَةُ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُمْ يَقِرُّونَ فِي غَطَفَانَ

وَكَانَ كَذَلِكَ وَمِنْهَا جَوَازُ الصُّلْحِ مَعَ الْعَدُوِّ

وَمِنْهَا بَعْثُ الطَّلَائِعِ وَجَوَازُ الْمُسَابَقَةِ عَلَى الْأَرْجُلِ بِلَا عِوَضٍ

وَفَضِيلَةُ الشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ

وَمِنْهَا مَنَاقِبُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ وَأَبِي قَتَادَةَ وَالْأَحْزَمِ الْأَسْعَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَمِنْهَا جَوَازُ الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ فَعَلَ جَمِيلًا وَاسْتِحْبَابُ ذَلِكَ إِذَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ مَصْلَحَةٌ كَمَا أَوْضَحْنَاهُ قَرِيبًا

وَمِنْهَا جَوَازُ عَقْرِ خَيْلِ الْعَدُوِّ فِي الْقِتَالِ

وَاسْتِحْبَابُ الرَّجَزِ فِي الْحَرْبِ

وَجَوَازُ قَوْلِ الرَّامِي وَالطَّاعِنِ وَالضَّارِبِ خُذْهَا وَأَنَا فُلَانٌ أو بن فُلَانٍ

وَمِنْهَا جَوَازُ الْأَكْلِ مِنَ الْغَنِيمَةِ

وَاسْتِحْبَابُ التَّنْفِيلِ مِنْهَا لِمَنْ صَنَعَ صَنِيعًا جَمِيلًا فِي الْحَرْبِ

وَجَوَازُ الْإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ الْمُطِيقَةِ

وَجَوَازُ الْمُبَارَزَةِ بِغَيْرِ إِذْنِ الْإِمَامِ كَمَا بَارَزَ عَامِرٌ وَمِنْهَا مَا كَانَتِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الشَّهَادَةِ وَالْحِرْصِ عَلَيْهَا وَمِنْهَا القاء

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن
تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾
لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ
ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ
وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾
وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ
قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن
تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

لما ذكر تعالى أن المخلفين من الأعراب يتخلفون عن الجهاد في سبيله ويعتذرون بغير عذر، وأنهم يطلبون الخروج معهم إذا لم يكن شوكة و لا قتال

بل لمجرد الغنيمة

قال تعالى ممتحنا لهم:

{قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ}

أي: سيدعوكم الرسول و من ناب منابه من الخلفاء الراشدين والأئمة،

و هؤلاء القوم فارس والروم ومن نحا نحوهم وأشبههم.

*الزبدة:هوازن و ثقيف يوم حنين في السنة الثامنة من الهجرة

{تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ}

أي: إما هذا وإما هذا، وهذا هو الأمر الواقع،

فإنهم في حال قتالهم و مقاتلتهم لأولئك الأقوام،

إذ كانت شدتهم و بأسهم معهم،

فإنهم في تلك الحال لا يقبلون أن يبذلوا الجزية،

بل إما أن يدخلوا في الإسلام،

و إما أن يقاتلوا على ما هم عليه،

فلما أثخنهم المسلمون، و ضعفوا و ذلوا، ذهب بأسهم،

فصـــــاروا :-

1-إما أن يسلموا،

2–و إما أن يبذلوا الجزية،

{فَإِن تُطِيعُواْ }

الداعي لكم إلى قتال هؤلاء

{يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا }

و هو الأجر الذي رتبه الله و رسوله على الجهاد في سبيل الله،

{وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ}

عن قتال من دعاكم الرسول إلى قتاله

{يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }

و دلت هذه الآية على :–

1–فضيلة الخلفاء الراشدين الداعين لجهاد أهل البأس من الناس،

2–و أنه تجب طاعتهم في ذلك.

ثم ذكر الأعذار التي يعذر بها العبد عن الخروج إلى الجهاد،

فقال:{ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ

أي: في التخلف عن الجهاد لعذرهم المانع.

{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ }

في امتثال أمرهما، و اجتناب نهيهما

{يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ}

فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين

{وَمَن يَتَوَلَّ }

عن طاعة الله ورسوله

{يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا }

فالسعادة كلها في طاعة الله، و الشقاوة في معصيته و مخالفته.

۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾

(لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ)

يخبر تعالى بفضله ورحمته، برضاه عن المؤمنين

إذ يبايعون الرسول ﷺتلك المبايعة التي بيضت وجوههم

و اكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة،

و كان سبب هذه البيعة –التي يقال لها "بيعة الرضوان":

لرضا الله عن المؤمنين فيها و يقال لها "بيعة أهل الشجرة"

أن رسول الله ﷺلما دار الكلام بينه و بين المشركين يوم الحديبية

في شأن مجيئه، وأنه لم يجئ لقتال أحد،

و إنما جاء زائرا هذا البيت، معظما له

فبعث رسول الله ﷺعثمان بن عفان لمكة في ذلك،

فجاء خبر غير صادق أن عثمان قتله المشركون

فجمع رسول الله ﷺمن معه من المؤمنين،

و كانوا نحوا من ألف و خمسمائة،

فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين

و أن لا يفروا حتى يموتوا،

فأخبر تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الحال

التي هي من أكبر الطاعات وأجل القربات

{فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ}

من الإيمان،

{فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ}

***اي الطمأنينة

شكرا لهم على ما في قلوبهم، زادهم هدى

و علم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها المشركون على رسوله،

فأنزل عليهم السكينة تثبتهم، وتطمئن بها قلوبهم،

{وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}

و هو: فتح خيبر، لم يحضره سوى أهل الحديبية

فاختصوا بخيبر وغنائمها، جزاءا لهم

وشكرا على ما فعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته.

{ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا }

***فتح خيبر و مكة و سائر البلاد و الاقاليم

و ما حصل لهم من العزة و النصر و الرفعة في الدنيا و الآخرة

{وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }

أي: له العزة والقدرة، التي قهر بها الأشياء

فلو شاء لانتصر من الكفار في كل وقعة تكون بينهم وبين المؤمنين

و لكنه حكيم، يبتلي بعضهم ببعض، و يمتحن المؤمن بالكافر.

{ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا }

وهذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمين إلى يوم القيامة،

{فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ }

أي: غنيمة خيبر أي: فلا تحسبوها وحدها

بل ثم شيء كثير من الغنائم سيتبعها

{و}

احمدوا الله إذ

{وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ }

القادرين على قتالكم، الحريصين عليه

***و كف ايدي الناس الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم

و حريمكم

{عَنكُمۡ }

فهي نعمة، وتخفيف عنكم.

{وَلِتَكُونَ }

هذه الغنيمة

{ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ }

يستدلون بها على خبر الله الصادق، و وعده الحق، و ثوابه للمؤمنين

و أن الذي قدرها سيقدر غيرها،

***و أن الخيرة فيما اختاره الله و ان كرهوه في الظاهر

(وعسى ان تكرهوا شيئا و هو خير لكم)البقرة216

{وَيَهۡدِيَكُمۡ }

بما يقيض لكم من الأسباب

***بسبب انقيادكم لاوامر الله و نبيه

{صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا }

من العلم و الإيمان و العمل.

{وَأُخۡرَىٰ }

أي: وعدكم أيضا غنيمة أخرى

{لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا }

وقت هذا الخطاب

*الجزائري:أي ومغانم أخرى لم تقدروا عليها وهي غنائم فارس والروم.

{قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَآۚ }

أي: هو قادر عليها، و تحت تدبيره و ملكه، و قد وعدكموها فلا بد من وقوع ما وعد به، لكمال اقتدار الله تعالى،

و لهذا قال: {وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا}

وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٢٢﴾

سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾

(وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

هذه بشارة من الله لعباده المؤمنين، بنصرهم على أعدائهم الكافرين وأنهم لو قابلوهم وقاتلوهم

{لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا}

يتولى أمرهم،

{وَلَا نَصِيرٗا }

ينصرهم و يعينهم على قتالكم، بل هم مخذولون مغلوبون

(سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ)

و هذه سنة الله في الأمم السابقة، أن جند الله هم الغالبون

{وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا }

***كما حدث في بدر مع قلة المسلمين
*الميسر: و لن تجد -أيها النبي- لسنة الله تغييراً.

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن
تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟
لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ
ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ
كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ
صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ
مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ
عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ
مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ
فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾

*جاء في الصحيح المسند من اسباب النزول

صحيح البخاري

2731 عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَ مَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالاَ:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ

حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً،

فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ»

فَوَ اللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ،

فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ،

وَ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ،

فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ فَأَلَحَّتْ،

فَقَالُوا: خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، خَلَأَتْ القَصْوَاءُ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَأَتْ القَصْوَاءُ،وَ مَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ،

وَ لَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ»،

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»

ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ،

قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ المَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا،

فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ العَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ،

فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ،

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِه مِنْ خُزَاعَةَ،
وَ كَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللّه ﷺمِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ،
فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاه الحُدَيْبِيَةِ،
وَمَعَهُمُ العُوذُ المَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ،
فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ:
إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَد، وَ لَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ،
وَ إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ،وَ أَضَرَّتْ بِهِمْ،
فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً،وَ يُخَلُّوا بَيْنِي وَ بَيْنَ النَّاسِ،
فَإِنْ أَظْهَرْ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا،
وَ إِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا،
فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي،
وَ لَيُنْفِذَنَّ اللّهُ أَمْرَهُ "،
فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، قَالَ:
فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا،
قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا،
فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا،
فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ،
وَ قَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ،
قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ
فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ
فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَلَسْتُمْ بِالوَالِدِ؟
قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالوَلَدِ؟

قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟
قَالُوا: لاَ، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ،
فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟
قَالُوا: بَلَى، قَالَ:
فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ،
قَالُوا: ائْتِه، فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ،
فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ:
أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ،
هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى،
فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا،
وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ،
فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ:
امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟
فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ،
قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،
لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ،
قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ،
وَ المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَ مَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ المِغْفَرُ،
فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ،
وَ قَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ،
فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟

قَالُوا: المُغيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ:
أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟
وَكَانَ المُغيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«أَمَّا الإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»،
ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ،
قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ،
وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ،
وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ،
فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ:
أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ،
وَ وَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ،
وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا،
وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ،
وَ إِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ،
وَ إِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ،
وَ إِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ،
وَ مَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ،

وَ إِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا،
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ،
فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺوَأَصْحَابِهِ،
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ»
فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ،
فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ،
مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ،
فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ:
رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ،
فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ،
فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ،
فَقَالَ: عُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ،
فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»
فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ
فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو،
قَالَ مَعْمَرٌ:
فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو،
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»
قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ:
فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو
فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّه مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ،
فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ:
وَاللَّه لاَ نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»
ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه»،
فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّه لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلاَ قَاتَلْنَاكَ،
وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّه،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«وَاللَّه إِنِّي لَرَسُولُ اللَّه، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي،
اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّه» -
قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِه:
«لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا» - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
«عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَنَطُوفَ بِه»،
فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّه لاَ تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً،
وَ لَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ،
فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا،
قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟
فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ،

وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ المُسْلِمِينَ،
فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«إِنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ»،
قَالَ: فَوَاللَّهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا،
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي»
قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «بَلَى فَافْعَلْ»
قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ،
قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ،
قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ،
أُرَدُّ إِلَى المُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟
وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ،
قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ
فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ: «بَلَى»
قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ،
قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟
قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»
قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟
قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ»، قَالَ: قُلْتُ: لاَ،
قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ»
قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟
قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟
قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟
قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ،

فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِه، فَوَاللّه إنّهُ عَلَى الحَقّ،
قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحدّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟
قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيه العَامَ؟
قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنّكَ آتِيه وَمُطَوّفٌ بِه، -
قَالَ الزّهْرِيّ: قَالَ عُمَرُ -: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا،
قَالَ: فَلَمّا فَرَغَ مِنْ قَضِيّةِ الكِتَابِ،
قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺلأَصْحَابِه:
«قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمّ احْلِقُوا»
قَالَ: فَوَاللّه مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرّاتٍ،
فَلَمّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمّ سَلَمَةَ،
فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النّاسِ،
فَقَالَتْ أُمّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيّ اللّه، أَتُحِبّ ذَلِكَ،
اخْرُجْ ثُمّ لاَ تُكَلّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً،
حَتّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ،
فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ،
وَ دَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ،
فَلَمّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا
وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا،
ثُمّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ
فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}
[الممتحنة10]

حَتّى بَلَغَ (بِعِصَمِ الكَوَافِرِ)

فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ،
كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ،
وَالأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ،
ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ،
فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ،
فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ،
فَقَالُوا: العَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ،
فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الحُلَيْفَةِ،
فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ،
فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ:
وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلاَنُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الآخَرُ
فَقَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ،
فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ،
وَفَرَّ الآخَرُ حَتَّى أَتَى المَدِينَةَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ يَعْدُو،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا»
فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ
فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ
قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ،
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ»
فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ،
فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ
قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ،

فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لاَ يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ،
فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ،
فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح:24]
حَتَّى بَلَغَ {الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ} [الفتح:26]
وَ كَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ،
وَ لَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،
وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ البَيْتِ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " مَعَرَّةٌ العُرُّ: الجَرَبُ، تَزَيَّلُوا: تَمَيَّزُوا، وَحَمَيْتُ القَوْمَ: مَنَعْتُهُمْ حِمَايَةً، وَأَحْمَيْتُ الحِمَى: جَعَلْتُهُ حِمًى لاَ يُدْخَلُ، وَأَحْمَيْتُ الحَدِيدَ وَأَحْمَيْتُ الرَّجُلَ: إِذَا أَغْضَبْتَهُ إِحْمَاءً(1)

(الغميم) واد بينه وبين مكة مرحلتان.
(طليعة) مقدمة الجيش.
(بقترة الجيش) الغبار الأسود الذي أثارته حوافر خيل الجيش.
(يركض) من الركض وهو الضرب بالرجل على الدابة لاستعجالها في السير.
(بالثنية) هي الطريق في الجبل وقيل هي موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية.
(حل حل) صوتو تزجر به الدابة لتحمل على السير.
(فألحت) لزمت مكانها ولم تنبعث. (خلأت) حزنت وتصعبت.
(القصواء) من القصو وهو قطع طرف الأذن سميت به ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن طرف أذنها كان مقطوعا.
(بخلق) بعادة. (حبسها) منعها من السير ودخول مكة.

(حابس الفيل) الله تعالى الذي حبس الفيل حين جيء به لهدم الكعبة.
(خطة) حالة وقضية.
(يعظمون فيها حرمات الله) يكفون فيها عن القتال تعظيما لحرم الله تعالى.
(فعدل عنهم) ولى راجعا.
(الحديبية) اسم مكان قريب من مكة.
(ثمد) حفرة فيها ماء قليل.
(يتبرضه. .) يأخذونه قليلا قليلا.
(فلم يلبثه. .) لم يتركوه يثبت ويقيم. (نزحوه) لم يبقوا منه شيئا.
(يجيش) يفور.
(بالري) ما يرويهم من الماء.
(صدروا عنه) رجعوا عنه.
(عيبة نصح) محل نصحه وموضع سره وأمانته والعيبة في الأصل ما يوضع فيه الثياب لحفظها والنصح الخلوص من الشوائب.
(أعداد) جمع عد وهو الماء الذي لا انقطاع له والمراد الكثرة.
(العوذ) النوق التي ولدت حدثيا فهي ذات لبن.
(المطافيل) النوق التي معها أولادها وأصله الأمهات التي معها أطفالها والمراد من قوله (معهم العوذ المطافيل) أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان يتزودون من ألبانها ولا يرجعون حتى يناجزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمنعوه من الدخول إلى مكة.
(صادوك) مانعوك.
(نهكتهم) أضعفت قوتهم وأموالهم وأهزلتهم.
(ماددتهم مدة) جعلت بيني وبينهم مدة صلح وهدنة.
(أظهر) غلبت عليهم. (جمو) استراحوا من جهد الحرب.
(تنفرد سالفتي) ينفصل مقدم عنقي أي حتى أقتل.
(بالوالد) مثل الوالد في الشفقة والمحبة.
(بالولد) مثل الولد في النصح لوالده.
(بلحوا) امتنعوا.
(اجتاح) أهلك واستأصل.
(أشوابا) أخلاطا. (خليقا) حقيقا.
(امصص ببظر اللات) البظر قطعة لحم بين جانبي فرج المرأة وقيل غير ذلك وكان من عادة العرب أن يقولوا لمن يسبونه أو يشتمونه امصص بظر أمه فاستعار أبو بكر رضي الله عنه ذلك في اللات لتعظيمهم إياها فقصد المبالغة في سبه واللات اسم لصنم من أصنام قريش أو أنصابهم. (يد كانت لك) نعمة لك علي.
(لم أجزك بها) لم أكافئك عليها.
(المغفر) ما يوضع على الرأس تحت الخوذة من زرد منسوج ويسدل على الوجه ليحميه من ضربات السلاح.

(غدر) يا غدر وهو صيغة مبالغة من الغدر.
(يرمق) يلحظ.
(تنخم) أخرج نخامة وهي ما يخرج من الصدر إلى الفم.
(ابتدروا أمره) أسرعوا في تلبيته وتنفيذه.
(يحدون) من الإحداد وهو شدة النظر أي لا يتأملونه ولا يديمون النظر إليه.
(إن رأيت) ما رأيت.
(رجل) هو الحليس بن علقمة الحارثي.
(يعظمون البدن) أي لا يستحلونها ولا يعتدون عليها والبدن جمع بدنة وهي ما يهدى للحرم من الإبل أو البقر.
(فابعثوها له) أثيروها أمامه.
(ضغطة) مفاجأة وقهرا.
(يرسف) يمشي مشيا بطيئا بسبب القيود.
(الدنية) النقيصة والمذلة.
(بغرزه) ما يكون للإبل بمنزلة الركاب للفرس والمعنى تمسك بأمره ولا تخالفه
(قضية الكتاب) كتابة العهد والإشهاد عليه.
(حالقه) هو خراش بن أمية الخزاعي.
(يقتل بعضنا) من شدة الازدحام على النحر والحلق.
(غما) حزنا على عدم المبادرة للامتثال.
(فامتحنوهن) فاختبروهن.
(بعصم الكوافر) بعصم جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد الزواج والكوافر الكوافر جمع كافرة والمراد المشركة والمعنى لا تقيموا على نكاحهن ولا تتمسكوا بالزوجية بينكم وبينهن. / الممتحنة 10 /.
(رجلين) هما خنيس بن جابر ومولى يقال له كوثر والذي أرسلهما في طلبه الأخنس بن شريق.
(العهد الذي جعلت لنا) أي نطالبك بالوفاء بالعهد الذي أعطيته لنا وهو أن ترد إلينا من جاءك منا ولو كان مسلما.
(فلان) هو خنيس.
(فاستله) أخرجه من غمده.
(الآخر) صاحب السيف.
(فأمكنه منه) أعطاه إياه بيده حتى تمكن منه.
(برد) كناية عن أنه مات لأن البرودة تلزم عن الموت.
(ذعرا) فزعا وخوفا.
(وإني لمقتول) سيقتلني إن لم تردوه عني.
(قد والله أوفى الله ذمتك) ليس عليك عتاب منهم فيما صنعت أنا.
(ويل أمه) الويل العذاب وهي كلمة أصلها دعاء عليه ولكنها استعملت هنا للتعجب من عمله.
(مسعر حرب) محرك لها وموقد لنارها والمسعر في الأصل العود الذي تحرك به النار.
(لو كان له أحد) لو وجد معه أحد ينصره ويعاضده.

يقول تعالى ممتنا على عباده بالعافية، من شر الكفار ومن قتالهم،

فقال: {وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ}

أي: أهل مكة

{عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ}

(سيف البحر) ساحله.
(عصابة) جماعة أربعون فما فوق.
(بعير) بخبر عير وهي القافلة من الإبل المحملة بالبضائع والأموال.
(تناشده) تسأله وتطلب منه بإلحاح.
(الرحم) القرابة أي يسألونه بحق الله تعالى وبحق القرابة بينهم وبينه.
(ببطن مكة) داخل مكة وهي الحديبية لأنها من الحرم.
(أظفركم عليهم) خولكم النصر والغلبة عليهم.
(الحمية) الأنفة فمنعوكم من دخول المسجد الحرام. / الفتح 24 - 26 /.
وتتمة الآيات {وكان الله بما تعملون بصيرا. هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما. إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما}.
(وصدوكم) منعوكم.
(وَالْهَدْيَ) ما يهدى للحرم من الإبل وغيرها
(مَعْكُوفًا) محبوسا وممنوعا.
(أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) مكانه الذي يذبح في عادة وهو الحرم.
(وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ) تقتلوهم مع الكفار. (فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) إثم وحرج.
(لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا) تميزوا عن الكفار.
(سكينته) وقارة وطمأنينته.
(ألزمهم) جعلها ملازمة لهم وثبتهم.
(كلمة التقوى) الإخلاص والتوحيد والوفاء بالعهد.
(فاتكم) سبقكم وذهب من عندكم. / الممتحنة 11 /.
(المدة) مدة المصالحة بين رسول الله ﷺوقريش]

أي: من بعد ما قدرتم عليهم، وصاروا تحت ولايتكم بلا عقد ولا عهد،

وهم نحو ثمانين رجلا انحدروا على المسلمين ليصيبوا منهم غرة،

فوجدوا المسلمين منتبهين فأمسكوهم،

فتركوهم ولم يقتلوهم، رحمة من الله بالمؤمنين إذ لم يقتلوهم،

{وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا}

فيجازي كل عامل بعمله،

ويدبركم أيها المؤمنون بتدبيره الحسن.

***صحيح مسلم (1808عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،

" أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺمِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ، يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ ﷺوَأَصْحَابِهِ،

فَأَخَذَهُمْ سِلْمًا فَاسْتَحْيَاهُمْ،

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح: 24] "( )

❍كقوله تعالى {وألقوا إليكم السلم}

(غرة) الغرة هي الغفلة أي يريدون أن يصادفوا منه ومن أصحابه غفلة عن التأهب لهم ليتمكنوا من غدرهم والفتك بهم

(سلما) ضبطوه بوجهين أحدهما سلما والثاني سلما قال الحميدي ومعناه الصلح قال القاضي في المشارق هكذا ضبطه الأكثرون

قال والرواية الأولى أظهر

والمعنى أسرهم

و السلم الأسر و جزم الخطابي بفتح اللام والسين

قال والمراد به الاستسلام والإذعان

أي الانقياد وهو مصدر يقع على الواحد و الاثنين و الجمع

قال ابن الأثير هذا هو الأشبه بالقصة فإنهم لم يأخذوا صلحا

و إنما أخذوا قهرا وأسلموا أنفسهم عجزا

قال و للقول الآخر وجه وهو أنه لما لم يجر معهم قتال

بل عجزوا عن دفعهم والنجاة منهم فرضوا بالأسر

فكأنهم قد صولحوا على ذلك]

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

(هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ)

*ثم ذكر تعالى الأمور المهيجة على قتال المشركين،

و هي كفرهم بالله ورسوله، و صدهم رسول الله

و من معه من المؤمنين،

أن يأتوا للبيت الحرام زائرين معظمين له بالحج و العمرة،

و هم الذين أيضا صدوا

{وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا }

أي: محبوسا

{أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ }

و هو محل ذبحه وهو مكة، فمنعوه من الوصول إليه ظلما و عدوانا، و كل هذه أمور موجبة و داعية إلى قتالهم، و لكن ثم مانع

(وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ)

و هو: وجود رجال ونساء من أهل الإيمان بين أظهر المشركين، و ليسوا متميزين بمحلة أو مكان يمكن أن لا ينالهم أذى، فلولا هؤلاء الرجال المؤمنون، و النساء المؤمنات، الذين لا يعلمهم المسلمون

(أَن تَطَـُٔوهُمْ)

أي: خشية أن تطأوهم

*الميسر:بجيشكم

{فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ }

و المعرة: ما يدخل تحت قتالهم، من نيلهم بالأذى و المكروه، و فائدة أخروية،

*الميسر:إثم و عيب و غرامة

لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ

و هو: أنه ليدخل في رحمته من يشاء فيمن عليهم بالإيمان بعد الكفر، و بالهدى بعد الضلال، فيمنعكم من قتالهم لهذا السبب.

{لَوْ تَزَيَّلُوا }

أي: لو زالوا من بين أظهرهم

{لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }

بأن نبيح لكم قتالهم، و نأذن فيه، و ننصركم عليهم.

إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

يقول تعالى: { إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ}

*الميسر: أنفَة

حيث أنفوا من كتابة {بسم الله الرحمن الرحيم}

و أنفوا من دخول رسول الله ﷺ والمؤمنين إليهم في تلك السنة

لئلا يقول الناس: " دخلوا مكة قاهرين لقريش "

و هذه الأمور ونحوها من أمور الجاهلية، لم تزل في قلوبهم

حتى أوجبت لهم ما أوجبت من كثير من المعاصي،

{فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ}

فلم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به بل صبروا لحكم الله

و التزموا الشروط التي فيها تعظيم حرمات الله و لو كانت ما كانت

و لم يبالوا بقول القائلين، و لا لوم اللائمين.

{وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ }

و هي " لا إله إلا الله " و حقوقها، ألزمهم القيام بها فالتزموها وقاموا بها

{وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا }

من غيرهم

{و} كانوا

{وَأَهۡلَهَاۚ }

الذين استأهلوها لما يعلم الله عندهم وفي قلوبهم من الخير

*الميسر:اهلا للتقوي

و لهذا قال: {وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا}

***صحيح البخاري

2699 -عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺفِي ذِي القَعْدَةِ،

فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ،

فَلَمَّا كَتَبُوا الكِتَابَ، كَتَبُوا هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ،

فَقَالُوا: لاَ نُقِرُّ بِهَا، فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا مَنَعْنَاكَ،

لَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،

قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ»،

ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: «امْحُ رَسُولُ اللَّهِ»،

قَالَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَمْحُوكَ أَبَدًا،

فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺالكِتَابَ،

فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،

لاَ يَدْخُلُ مَكَّةَ سِلاَحٌ إِلَّا فِي القِرَابِ،

وَ أَنْ لَايَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ، إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَهُ،
وَ أَنْ لاَ يَمْنَعَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا،
فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الأَجَلُ، أَتَوْا عَلِيًّا
فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ اخْرُجْ عَنَّا، فَقَدْ مَضَى الأَجَلُ،
فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ،
فَتَبِعَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ: يَا عَمِّ يَا عَمِّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ
فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَ قَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ:
دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ، حَمَلَتْهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ، وَ زَيْدٌ، وَ جَعْفَرٌ،
فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَ هِيَ ابْنَةُ عَمِّي،
وَ قَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَ خَالَتُهَا تَحْتِي،
وَ قَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي، فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺلِخَالَتِهَا،
وَ قَالَ: «الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ»،
وَ قَالَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي وَ أَنَا مِنْكَ»،
وَ قَالَ لِجَعْفَرٍ: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَ خُلُقِي»،
وَ قَالَ لِزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَ مَوْلاَنَا»( )

(فكتب) أي أمر عليا رضي الله عنه فكتب كقولك ضرب الأمير أي أمر بالضرب.
(ابنة حمزة) هي أمامة وقيل عمارة وأمها سلمى بنت عميس.
(يا عم) نادته بذلك لأنه أخو أبيها من الرضاع).
(دونك) أي خذيها.
(فاختصم) اختلفوا فيمن تكون عنده.
(تحتي) زوجتي.
(ابنة أخي) في الإسلام لأنه ﷺآخى بين زيد وحمزة رضي الله عنهما.
(أنت مني وأنا منك) أي في النسب والمحبة وغيرهما.
(مولانا) عتيقنا الذي نتولى أمره ويتولى أمرنا]

صحيح البخاري 3182 -
عن أَبُو وَائِلٍ، قَالَ: كُنَّا بِصفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ،
فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ،
فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺيَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ،
وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ،
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟
فَقَالَ: «بَلَى». فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِي النَّارِ؟
قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَعَلاَمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا،
أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟
فَقَالَ: «يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَ لَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»،
فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ
فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَ لَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا،
فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا،
فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»( )

(الدنية) الخصلة المذمومة وهي مظهر الضعف والاستكانة.
(ولما يحكم الله) لم يفصل بيننا وبينهم بالقتال.
(أو فتح هو) أي هذا الصلح ولقد كان فتحا حقا فلقد تهيأ رسول الله ﷺبهذا الصلح أن يراسل الملوك يدعوهم إلى الإسلام وأن يدعو القبائل التي كانت تخشى قريشا وتحسب لها حسابا فأصبحت تقبل على الإسلام دون أن ترقب خطرا ولا أدل على ذلك من أن المسلمين كانوا في صلح الحديبية أربعمائة وألفا بينما زاد عددهم حين أتوا لفتح مكة عن عشرة آلاف فصدق محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه أنه رسول الله ولن يضيعه الله جل وعلا]

لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

يقول تعالى: {لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ }

و ذلك أن رسول الله ﷺرأى في المدينة رؤيا أخبر بها أصحابه أنهم سيدخلون مكة و يطوفون بالبيت،

فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، و رجعوا من غير دخول لمكة كثر في ذلك الكلام منهم، حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ: ألم تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟

فقال: " أخبرتكم أنه العام؟ " قالوا: لا

قال: "فإنكم ستأتونه وتطوفون به"

قال الله هنا: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ}

أي: لا بد من وقوعها وصدقها، و لا يقدح في ذلك تأخر تأويلها،

{لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ }

أي: في هذه الحال المقتضية لتعظيم هذا البيت الحرام،و أدائكم للنسك، و تكميله بالحلق و التقصير، و عدم الخوف،

{فَعَلِمَ }

من المصلحة و المنافع

{مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ }

الدخول بتلك الصفة

{فَتْحًا قَرِيبًا }

و لما كانت هذه الواقعة مما تشوشت بها قلوب بعض المؤمنين

و خفيت عليهم حكمتها،

فبين تعالى حكمتها و منفعتها

و هكذا سائر أحكامه الشرعية، فإنها كلها، هدى و رحمة.

أخبر بحكم عام،

فقال: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ}

الذي هو العلم النافع

الذي يهدي من الضلالة،

و يبين طرق الخير و الشر.

{وَدِينِ الْحَقِّ }

أي: الدين الموصوف بالحق،

و هو العدل و الإحسان و الرحمة.

و هو كل عمل صالح مزك للقلوب، مطهر للنفوس، مرب للأخلاق، معل للأقدار.

{لِيُظْهِرَهُۥ }

بما بعثه الله به

*الميسر: ليُعْليه

{عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ }

بالحجة و البرهان، و يكون داعيا لإخضاعهم بالسيف و السنان.

***صحيح البخاري 2731

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ
فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا،
قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ،
قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟
قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»،
قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟
قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ»،
قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ»

صحيح البخاري 1727

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُحَلِّقِينَ»
قَالُوا: وَ المُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،
قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُحَلِّقِينَ»
قَالُوا: وَ المُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،
قَالَ: «وَ المُقَصِّرِينَ»( )

 (المحلقين) الذين يحلقون جميع شعرهم.
(المقصرين) الذين يقصون أطراف شعرهم]

{وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِـــيدًا }

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ
وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ
ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم
مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

سورة الحجرات-بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ
أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ

سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩

{مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ }

يخبر تعالى عن رسوله ﷺوأصحابه من المهاجرين والأنصار،

أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال،

و أنهم {أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ }

أي: جادون و مجتهدون في عداوتهم

و ساعون في ذلك بغاية جهدهم،

فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة

فلذلك ذل أعداؤهم لهم، و انكسروا، و قهرهم المسلمون،

{رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ }

أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد،

يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق

و أما معاملتهم مع الخالق فإنك

{تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا }

أي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع و السجود.

{يَبۡتَغُونَ }

بتلك العبادة

{يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا}

أي: هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم، و الوصول إلى ثوابه.

{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ}

*الميسر:علامة طاعتهم لله ظاهرة في وجوههم من أثر السجود والعبادة

أي:قد أثرت العبادة –من كثرتها وحسنها– في وجوههم، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم،

استنارت بالجلال ظواهرهم.

{ذَٰلِكَ }

المذكور

{مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ }

أي: هذا وصفهم الذي وصفهم الله به، مذكور بالتوراة هكذا.

{ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ }

و أما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر،

و أنهم في كمالهم و تعاونهم

(كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ)

○فراخه

*الميسر:سوقه و فروعه

{فَآزَرَهُ }

❍فوازرته

*الميسر:اعانه-

فراخه في الشباب و الاستواء.

{فَٱسۡتَغۡلَظَ }

ذلك الزرع أي: قوي وغلظ

{فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ}

جمع ساق،

{يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ }

*الميسر:زارعيه

❍من كماله و استوائه، و حسنه و اعتداله،

كذلك الصحابة ﷺ، هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم،

فقوة إيمانهم و أعمالهم بمنـــــزلة[قوة عـــــروق الزرع و ســـــوقه]

و كون الصغير والمتأخر إسلامه،

قد لحق الكبير السابق و وازره و عاونه على ما هو عليه،

من إقامة دين الله و الدعوة إليه،

كالزرع الذي أخرج شطأه، فآزره فاستغلظ، و لهذا قال:

{لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ}

حين يرون اجتماعهم و شدتهم على دينهم،

و حين يتصادمون هم و هم في معارك النزال، و معامع القتال.

{وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا}

فالصحابة ﷺ، الذين جمعوا بين الإيمان و العمل الصالح،

قد جمع الله لهم بين المغفرة، التي من لوازمهـــــا:-

وقاية شرور الدنيا و الآخرة، و الأجر العظيم في الدنيا و الآخرة

***صحيح البخاري (3673)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا
مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَ لَانَصِيفَهُ»( )

49-تفسير سورة الحجرات-و هي مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ

(ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) المراد أن القليل الذي أنفقه أحدهم أكثر ثوابا من الكثير الذي ينفقه غيرهم وسبب ذلك أن إنفاقهم كان مع الحاجة إليه لضيق حالهم

ولأنه كان في نصرته ﷺوحمايته غالبا

ومثل إنفاقهم في مزيد الفضل وكثير الأجر باقي أعمالهم من جهاد وغيره

لأنهم الرعيل الأول الذي شق طريق الحق والهداية والخير

فكان لهم فضل السبق الذي لا يداينه فضل إلى جانب شرف صحبتهم رسول الله ﷺ

وبذلهم نفوسهم وأرواحهم رخيصة دفاعا عن رسول الله ﷺونصره لدينه.

و النصيف هو النصف

كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤

{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ}

*** الميسر:لا تقضوا أمرًا دون أمر الله ورسوله من شرائع دينكم فتبتدعوا،**

هذا متضمن للأدب، مع الله تعالى، و مع رسول الله ﷺ، و التعظيم له، و احترامه، وإكرامه،

فأمر الله عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان، بالله وبرسوله،

من امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه،

وأن يكونوا ماشين، خلف أوامر الله،

متبعين لسنة رسول الله ﷺ، في جميع أمورهم،

و أن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا، حتى يقول، ولا يأمروا، حتى يأمر،

فإن هذا، حقيقة الأدب الواجب، مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه، وبفواته، تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي،

وفي هذا، النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول ﷺ، على قوله،

فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ،

وجب اتباعها، و تقديمها على غيرها، كائنا ما كان

{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ }

*الميسر:و خافوا الله في قولكم وفعلكم أن يخالَف أمر الله ورسوله،

ثم أمر الله بتقواه عمومًا، و هي كما قال طلق بن حبيب:

- أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله،
- و أن تترك معصية الله، على نور من الله،تخشى عقاب الله.

و قوله: {إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ}

أي: لجميع الأصوات في جميع الأوقات،

في خفي المواضع والجهات

{عَلِيمٌ }

بالظواهر و البواطن، وا لسوابق و اللواحق، و الواجبات و المستحيلات و الممكنات

- و في ذكر الاسمين الكريمين –بعد النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله،

و الأمر بتقـــــواه–

حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة،

وترهيب عن عدم الامتثال.

ثم قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ﴾

و هذا أدب مع رسول الله ﷺ، في خطابه،

أي: لا يرفع المخاطب له، صوته معه، فوق صوته،

و لا يجهر له بالقول، بل يغض الصوت،

و يخاطبه بأدب و لين، و تعظيم و تكريم، و إجلال و إعظام،

﴿بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾

و لا يكون الرسول كأحدهم،

بل يميزوه في خطابهم، كما تميز عن غيره، في وجوب حقه على الأمة،

و وجوب الإيمان به، و الحب الذي لا يتم الإيمان إلا به،

فإن في عدم القيام بذلك، محذورًا،

﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾

*الميسر:خشية أن تبطل أعمالكم

وخشية أن يحبط عمل العبد

﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾

و هو لا يشعر،

*الميسر:لا تُحِسُّون بذلك

لكما أن الأدب معه، من أسباب حصول الثواب و قبول الأعمال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾

ثم مدح من غض صوته عند رسول الله ﷺ

{أُوْلَئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ}

بأن الله امتحن قلوبهم للتقوى،

أي: ابتلاها واختبرها، فظهرت نتيجة ذلك، بأن صلحت قلوبهم للتقوى،

لَهُم مَّغْفِرَةٌ

ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم، المتضمنة لزوال الشر والمكروه،

وَأَجْرٌ عَظِيمٌ

والأجر العظيم، الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى

وفي الأجر العظيم وجود المحبوب

وفي هذا، دليل على أن الله يمتحن القلوب، بالأمر والنهي والمحن،

فمن لازم أمر الله، واتبع رضاه، وسارع إلى ذلك، وقدمه على هواه،

تمحض وتمحص للتقوى، وصار قلبه صالحًا لها ومن لم يكن كذلك،

علم أنه لا يصلح للتقوى

***صحيح البخاري

7302 عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺوَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ، أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ التَّمِيمِيِّ الحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِغَيْرِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتَ خِلاَفِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: 2]

إِلَى قَوْلِهِ {عَظِيمٌ} [الحجرات: 3]،
قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ،
وَ لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ،
إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺبِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ
لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ( )

صحيح البخاري

4846 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺافْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ،
فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟
فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ،
فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ،
فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺفَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا،
فَقَالَ مُوسَى: فَرَجَعَ إِلَيْهِ المَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ،
فَقَالَ: " اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ:
إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَ لَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ "

صحيح البخاري-470

عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ،
فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ،
فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا،
قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا - أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ -

(كأخي السرار) كصاحب المشاورة في خفض الصوت.
(يستفهمه) من الاستفهام وهو طلب الفهم

قَالاَ: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ،
قَالَ: «لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا،
تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»( )
صحيح البخاري
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا،
يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ،
وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا،
يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»( )

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ }

*الميسر :بصوت مرتفع، أكثرهم ليس لهم من العقل ما يحملهم على حسن الأدب مع رسول الله ﷺو توقيره.

–نزلت هذه الآيات الكريمة، في أناس من الأعراب،

الذين وصفهم الله تعالى بالجفاء،

و أنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله،

قدموا وافدين على رسول الله ﷺ،

(فحصبني) رماني بالحصباء وهي الحجارة الصغيرة.
(لأوجعتكما) أي جلدتكما حتى أوجعتكما]

(من رضوان الله) مما يرضي الله تعالى.
(لا يلقي لها بالا) لا يبالي بها و لا يلتفت إلى معناها خاطره
و لا يعتد بها و لا يعيها بقلبه.
(سخط الله) مما يغضبه ولا يرضاه.
(يهوي بها) يسقط بسببها

فوجدوه في بيته وحجرات نسائه، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج،

بل نادوه: يا محمد يا محمد، أي: اخرج إلينا ،

فذمهم الله بعدم العقل،

حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله و احترامه،

كما أن من العقل و علامته استعمال الأدب.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ
نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ
تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن
يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ
ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا
فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾

فأدب العبد، عنوان عقله، و أن الله مريد به الخير،

و لهذا قال:

{وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

أي: غفور لما صدر عن عباده من الذنوب، و الإخلال بالآداب،

رحيم بهم،

حيث لم يعاجلهم بذنوبهم بالعقوبات و المثلات.

و هذا أيضًا، من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها و استعمالها،

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ)

و هو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، و لا يأخذوه مجردًا،

فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، و وقوعًا في الإثم،

فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل،

حكم بموجب ذلك و مقتضاه،

فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق،

بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة،

{فَتَبَيَّنُوا }

بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت و التبين،

فإن دلت الدلائل و القرائن على صدقه، عمل به و صدق،

و إن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به،

ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول، و خبر الكاذب، مردود،

و خبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا

و لهذا كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج المعروفين بالصدق،

ولو كانوا فساقًا.

(أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ)

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

(وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ)

أي: ليكن لديكم معلومًا أن رسول الله ﷺ، بين أظهركم،

و هو الرسول الكريم، البار، الراشد، الذي يريد بكم الخير و ينصح لكم،

و تريدون لأنفسكم من الشر و المضرة، ما لا يوافقكم الرسول عليه،

(لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ)

*الميسر:وقد تريدون لأنفسكم من الشر و المضرة ما لا يوافقكم الرسول عليه،

و لو يطيعكم في كثير من الأمر لشق عليكم وأعنتكم، ولكن الرسول يرشدكم،

*كما قال الله:

{ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: 71]

{وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ}

والله تعالى يحبب إليكم الإيمان، و يزينه في قلوبكم،
بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق و إيثاره،
و بما ينصب على الحق من الشواهد،
و الأدلة الدالة على صحته، و قبول القلوب و الفطر له،
و بما يفعله تعالى بكم، من توفيقه للإنابة إليه،

{وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ}

و يكره إليكم الكفر
و الفسوق، أي: الذنوب الكبار،
و العصيان: هي ما دون ذلك من الذنوب بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر،
و عدم إرادة فعله، و بما نصبه من الأدلة والشواهد على فساده،
و عدم قبول الفطر له، وبما يجعله الله من الكراهة في القلوب له

{أُوْلَٰٓئِكَ }

أي: الذين زين الله الإيمان في قلوبهم، و حبَّبه إليهم،
و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان

{هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ }

أي: الذين صلحت علومهم و أعمالهم،
و استقاموا على الدين القويم، و الصراط المستقيم.
و ضدهم الغاوون، الذين حبب إليهم الكفر و الفسوق و العصيان،

و كره إليهم الإيمان، و الذنب ذنبهم،

فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم،

و لما [زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ]

و لما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة،

قلب الله أفئدتهم.

و قوله: {فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً}

أي: ذلك الخير الذي حصل لهم،

هو بفضل الله عليهم و إحسانه، لا بحولهم و قوتهم.

{وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

أي: عليم بمن يشكر النعمة، فيوفقه لها، ممن لا يشكرها،

و لا تليق به، فيضع فضله، حيث تقتضيه حكمته.

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

{وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ}

هذا متضمن لنهي المؤمنين، عن أن يبغي بعضهم على بعض،

و يقاتل بعضهم بعضًا، و أنه إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين:

{فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا }

فإن على غيرهم من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير، بالإصلاح بينهم،

و التوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح،

و يسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا، فبها و نعمت،

{ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى}

*الميسر:فإن اعتدت إحدى الطائفتين و أبت الإجابة إلى ذلك

(فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)

أي: ترجع إلى ما حد الله ورسوله، من فعل الخير و ترك الشر،

الذي من أعظمه، الاقتتال،

*** صحيح البخاري

2444 - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟

قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»( )

صحيح البخاري

2691 – عن أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ،

«فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺوَ رَكِبَ حِمَارًا،

فَانْطَلَقَ المُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ

وَ هِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ»، فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ،

[ش (تأخذ فوق يديه) تمنعه من الظلم]

فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَ اللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ،
فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْهُمْ:
وَ اللَّهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ،
فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَشَتَمَهُ،
فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ،
فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَ الأَيْدِي وَ النِّعَالِ،
فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ:

{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: 9]( )

و قوله {فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ}

هذا أمر بالصلح، و بالعدل في الصلح، فإن الصلح، قد يوجد و لكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم و الحيف على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به،

فيجب أن لا يراعى أحدهما، لقرابة، أو وطن، أو غير ذلك من المقاصد والأغراض، التي توجب العدول عن العدل،

{وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ}

أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها،

(لو أتيت عبد الله) أي فعرضت عليه الإسلام.
(سبخة) أرض تعلوها ملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.
(إليك عني) تنح وابتعد.
(نتن) رائحته الكريهة.
(رجل) قيل هو عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.
(بالجريد) أغصان النخل المجردة من ورقه. (طائفتان) جماعتان

حتى إنه، قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله، و عياله، في أدائه حقوقهم،

و في الحديث الصحيح:

مسند أحمد ط الرسالة 6492

الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ،
عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ،
الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَ أَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا " ( )

***و بهذا استدل البخاري وغيره علي انه لا يخرج من الايمان بالمعصية و ان عظمت لا كما يقوله الخوارج و من تابعهم من المعتزلة و نحوهم

صحيح البخاري

3746عَنِ الحَسَنِ، سَمِعَ أَبَا بَكْرَةَ،

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺعَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ
يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً،
وَ يَقُولُ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ،وَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ»

❍فكان كان قال اصلح الله به بين اهل الشام و العراق بعد الحروب الطويلة

{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }

هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين،

أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض و مغربها،

الإيمان بالله، و ملائكته، و كتبه، و رسله، و اليوم الآخر،

 (ولوا) أي كانت لهم عليه ولاية]

فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون،

ما يحبون لأنفسهم،

و يكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم،

و لهذا قال النبي ﷺآمرًا بحقوق الأخوة الإيمانية:

صحيح البخاري

6064 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا

صحيح البخاري

481 - عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

«إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ

و لقد أمر الله ورسوله، بالقيام بحقوق المؤمنين، بعضهم لبعض،

و بما به يحصل التآلف والتوادد، والتواصل بينهم،

كل هذا، تأييد لحقوق بعضهم على بعض،

فمن ذلك، إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتفرق القلوب وتباغضها وتدابرها ،

(فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ)

فليصلح المؤمنون بين إخوانهم، و ليسعوا فيما به يزول شنآنهم.

{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ }

ثم أمر بالتقوى عمومًا، و رتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله، الرحمة

فقال: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}

وإذا حصلت الرحمة، حصل خير الدنيا والآخرة،

ودل ذلك، على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة.

و في هاتين الآيتين من الفـــــوائد، غير ما تقدم:

1–أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية

و لهذا، كان من أكبر الكبائر،

2–و أن الإيمان، و الأخوة الإيمانية لا تزول مع وجود القتال

كغيره من الذنوب الكبار، التي دون الشرك،

و على ذلك مذهب أهل السنة والجماعة

3–و على وجوب الإصلاح، بين المؤمنين بالعدل،

4–و على وجوب قتال البغاة، حتى يرجعوا إلى أمر الله،

و على أنهم لو رجعوا، لغير أمر الله،

بأن رجعوا على وجه لا يجوز الإقرار عليه والتزامه، أنه لا يجوز ذلك،

و أن أموالهم معصومة،

لأن الله أباح دماءهم وقت استمرارهم على بغيهم خاصة، دون أموالهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ }

و هذا أيضًا، من حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض،

أن

{ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ }

بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم،

فإن ذلك حرام، لا يجوز،

و هو دال على إعجاب الساخر بنفسه،

و عسى أن يكون المسخور به خيرًا من الساخر، كما هو الغالب والواقع،

فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق،

متحل بكل خلق ذميم،

و لهذا قال النبي ﷺ

"بحسب امرئ من الشر، أن يحقر أخاه المسلم"

***صحيح مسلم

91-إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»( )

ثم قال: {وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ}

أي: لا يعب بعضكم على بعض،

واللمز: بالقول،

والهمز: بالفعل،

وكلاهما منهي عنه حرام، متوعد عليه بالنار.

كما قال تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} الآية، وسمي الأخ المؤمن نفسًا لأخيه،

لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد،

ولأنه إذا همز غيره، أوجب للغير أن يهمزه، فيكون هو المتسبب لذلك.

{وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ}

أي: لا يعير أحدكم أخاه،

و يلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه وهذا هو التنابز،

و أما الألقاب غير المذمومة، فلا تدخل في هذا.

{بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ}

أي: بئسما تبدلتم عن الإيمان والعمل بشرائعه، و ما تقتضيه،

بالإعراض عن أوامره و نواهيه،

(بطر الحق) هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا

(غمط الناس) معناه احتقارهم يقال في الفعل منه غمطه يغمطه وغمطه يغمطه]

باسم الفسوق والعصيان، الذي هو التنابز بالألقاب.

*الميسر :بئس الصفة والاسم الفسوق،

و هو السخرية و اللمز و التنابز بالألقاب،

بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه

{وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ }

فهذا هو الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى

و يخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله، و الاستغفار،

و المدح له مقابلة على ذمه.

{وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}

فالنـــــاس قسمـــــان:

1-ظالم لنفسه غير تائب،

2-و تائب مفلح،

و لا ثم قسم ثالث غيرهما.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب
بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ
لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل
لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا
يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ
ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب
بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ}

نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين

فـــــ{إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}

و ذلك، كالظن الخالي من الحقيقة و القرينة،

و كظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، و الأفعال المحرمة،

فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك،

بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، و يفعل ما لا ينبغي،

و في ذلك أيضًا، إساءة الظن بالمسلم، و بغضه، و عداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

{وَلَا تَجَسَّسُوا}

أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها،

و اتركوا المسلم على حاله،

و استعملوا التغافل عن أحواله التي إذا فتشت،

ظهر منها ما لا ينبغي.

***صحيح البخاري (6066)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»( )

(لا تناجشوا) من النجش وهو أن يزيد في ثمن السلعة
وهو لا يريد شراءها ليوهم غيره بنفاستها]
قال الاوزاعي:التجسس :البحث عن الشئ
و التحسس:الاستماع الي حديث القوم و هم كارهون او يتسمع علي ابوابهم

سنن أبي داود

4880 - عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ،
وَ لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ،
وَ لَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ،
فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ
وَ مَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»

{وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ}

و الغيبة، كما قال النبي ﷺ:
" ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه "

***صحيح مسلم

(2589) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،
قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟»
قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،
قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»
قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ:
«إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»( )

ذكر العلماء أن الغيبة تباح في ستة مواضع نظمها الجوهري في قوله :

لستٍّ غيبة جوِّز وخذها

منظمة كأمثال الجواهر

و التدابر:الصَّرْم

(بهته) يقال بهته قلت فيه البهتان وهو الباطل والغيبة ذكر الإنسان في غيبته بما يكره وأصل البهت أن يقال له الباطل في وجهه وهما حرامان لكن تباح الغيبة لغرض شرعي]

تظلمٌ ، واستعن ، واستفْتِ ، حذِّر

و عرِّف ، اذكرن فسق المجاهر

الغيبة محرمة شرعا ولكن هناك ستة مواضع أو ستة أسباب تباح فيها الغيبة لغرض صحيح شرعي وهي:

– 1–التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم للقاضي فيقول : ظلمني فلان بكذا وكذا

– 2–الاستعانة على تغيير المنكر و رد العاصي الى الصواب كأن يقول : فلان يعمل يعمل كذا فازجروه عنه أو نحو ذلك فان لم يكن مقصده إزالة المنكر كان حراما

– 3–الاستفتاء فيقول للمفتي : ظلمني أبي أو أخي أو فلان فهل له ذلك ؟ وما طريقي في تحصيل حقي منه ؟ فهذا جائز للحاجة ولكن الافضل أن يقول : ماتقول في رجل أمره كذا ؟ فانه يحصل به الغرض من غير تعيين ومع ذلك فالتعيين جائز

– 4–تحذير المسلمين من الشر و نصيحتهم وذلك من وجوه منها:

أ – جرح المجروحين من الرواة والشهود

ب – المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته فيجب ذكر المساؤى التي فيه بنية النصيحة

– 5–أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب الا أن يكون لجوازه سبب أخر مما ذكر

– 6–التعريف: فاذا كان الانسان معروفا بلقب كالأعمش أو الأعرج وغيرهم جاز تعريفهم بذلك ويحرم إطلاقه بنية التنقص أو الاستهزاء و لو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى

***سنن أبي داود

4875 - عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ:
حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً،
فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»
قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا،
فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»
ثم ذكر مثلا منفرًا عن الغيبة،

فقال: {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ}

شبه أكل لحمه ميتًا، المكروه للنفوس غاية الكراهة ، باغتيابه،

فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، و خصوصًا إذا كان ميتًا، فاقد الروح،

فكذلك، فلتكرهوا غيبته، و أكل لحمه حيًا.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ}

*الميسر:و خافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه

(إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ)

و التواب، الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفقه لها،

ثم يتوب عليه، بقبول توبته،

(رَّحِيمٌ)

بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، و قبل منهم التوبة،
و في هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة،
و أن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت،
و ذلك من الكبائر.
***الغيبة محرمة بالاجماع لا يستثني من ذلك الا ما رجحت مصلحته كما في الجرح و التعديل و النصيحة كقوله لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر:
صحيح البخاري
6131 - أَنَّ عَائِشَةَ، أَخْبَرَتْهُ:
أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺرَجُلٌ فَقَالَ:
«ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ - أَوْ بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ -»
فَلَمَّا دَخَلَ أَلاَنَ لَهُ الكَلاَمَ،
فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي القَوْلِ؟
فَقَالَ:«أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ - أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ - اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»
و ايضا

صحيح مسلم
(1480) عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ،
وَ هُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخِطَتْهُ،
فَقَالَ: وَاللهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ،
فَجَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ،
فَقَالَ: «لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ»، فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ،

ثُمَّ قَالَ: «تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي، اعْتَدِّي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ، فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي»

قَالَتْ:

فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَ أَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي،

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ

وَ أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ،

انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ» فَكَرِهْتُهُ،

ثُمَّ قَالَ: «انْكِحِي أُسَامَةَ»، فَنَكَحْتُهُ

فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ بِهِ( )

و ثبت في حجة الوداع

صحيح البخاري

67 - ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺقَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ - أَوْ بِزِمَامِهِ - قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»، فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى،

4(فسخطته) أي ما رضيت به لكونه شعيرا أو لكونه قليلا

(تعتد) أي تستوفي عدتها وعدة المرأة قيل أيام أقرائها وقيل تربصها المدة الواجبة عليها

(فآذنيني) أي فأعلميني

(فلا يضع العصا عن عاتقه) فيه تأويلان مشهوران أحدهما أنه كثير الأسفار والثاني أنه كثير الضرب للنساء وهذا أصح والعاتق هو ما بين العنق إلى المنكب

(فصعلوك) أي فقير في الغاية

(واغتبطت) في بعض النسخ واغتبطت به ولم تقع لفظة به في أكثر النسخ

قال أهل اللغة الغبطة أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير إرادة زوالها عنه وليس هو بحسد تقول منه غبطته بما نال أغبطه بكسر الباء غبطا وغبطة فاغتبط هو كمنعته فامتنع وحبسته فاحتبس]

قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ،
فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ»
قُلْنَا: بَلَى،
قَالَ:«فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ،
بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا،
لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»

صحيح مسلم

(2564) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا،
وَ لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ،
وَ كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا
الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا»
وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ،
كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»( )

سنن أبي داود -4878

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ،

(ولا يخذله) قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي
(ولا يحقره) أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله
(التقوى ههنا) معناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته]

فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ،
قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ "

***قَالَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْعُلَمَاءِ:
طَرِيقُ الْمُغْتَابِ لِلنَّاسِ فِي تَوْبَتِهِ أَنْ يُقلع عَنْ ذَلِكَ،
وَيَعْزِمَ عَلَى أَلَّا يَعُودَ. وَهَلْ يُشْتَرَطُ النَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ؟
فِيهِ نِزَاعٌ،وَأَنْ يَتَحَلَّلَ مِنَ الَّذِي اغْتَابَهُ.
وَقَالَ آخَرُونَ: لَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَتَحَلَّلَهُ فَإِنَّهُ إِذَا أَعْلَمَهُ بِذَلِكَ رُبَّمَا تَأَذَّى أَشَدَّ مِمَّا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ بِمَا كَانَ مِنْهُ،
فَطَرِيقُهُ إِذًا أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ فِي الْمَجَالِسِ الَّتِي كَانَ يَذُمُّهُ فِيهَا،
وَأَنْ يَرُدَّ عَنْهُ الْغَيْبَةَ بِحَسْبِهِ وَطَاقَتِهِ، فَتَكُونَ تِلْكَ بِتِلْكَ،

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ)

يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد،

و كلهم من ذكر و أنثى، و يرجعون جميعهم إلى آدم و حواء،

و لكن الله تعالى بث منهما رجالا كثيرا ونساء، وفرقهم،

(وَجَعَلْنَٰكُمْ)

وجعلهم

(شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ)

أي: قبائل صغارًا و كبارًا،

(لِتَعَارَفُوٓاْۚ)

و ذلك لأجل أن يتعارفوا،

فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب،

و لكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، و لحوق الأنساب،

(إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ)

و لكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله، أتقاهم،

و هو أكثرهم طاعة وانكفافًا عن المعاصي،

لا أكثرهم قرابة و قومًا، و لا أشرفهم نسبًا،

(إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ)

و لكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرًا وباطنًا، ممن يقوم بذلك، ظاهرًا لا باطنًا، فيجازي كلا بما يستحق.

و في هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة،

لأن الله جعلهم شعوبًا وقبائل، لأجل ذلك.

****صحيح البخاري 3353

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟

قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ،

قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ»

قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ،

قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِ؟
خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، إِذَا فَقُهُوا»

صحيح مسلم 2564

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَ أَمْوَالِكُمْ،
وَ لَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَ أَعْمَالِكُمْ»

قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

(قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ)

يخبر تعالى عن مقالة الأعراب،

الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله ﷺ، دخولا من غير بصيرة،

و لا قيام بما يجب و يقتضيه الإيمان،

أنهم ادعوا مع هذا وقالوا: آمنا

أي: إيمانًا كاملا مستوفيًا لجميع أموره هذا موجب هذا الكلام،

فأمر الله رسوله، أن يرد عليهم،

فقال: {قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ}

أي: لا تَدَّعُوا لأنفسكم مقام الإيمان، ظاهرًا، و باطنًا، كاملا.

{وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا}

أي: دخلنا في الإسلام، و اقتصروا على ذلك.

{و} السبب في ذلك،

أنه {وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ}

و إنما آمنتم خوفًا، أو رجاء، أو نحو ذلك، مما هو السبب في إيمانكم،

فلذلك لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم،

و في قوله: {وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ}

أي: وقت هذا الكلام، الذي صدر منكم

فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك،

فإن كثيرًا منهم، من الله عليهم بالإيمان الحقيقي، و الجهاد في سبيل الله،

{وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ}

بفعل خير، أو ترك شر

{لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗا}

أي: لا ينقصكم منها، مثقال ذرة،

بل يوفيكم إياها، أكمل ما تكون لا تفقدون منها، صغيرًا، ولا كبيرًا،

{إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

أي: غفور لمن تاب إليه وأناب، رحيم به، حيث قبل توبته.

{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ }

أي: على الحقيقة

{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ}

*الميسر: في إيمانهم

(وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ)

أي: من جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله،

–فإن من جاهد الكفار، دل ذلك، على الإيمان التام في القلب،

لأن من جاهد غيره على الإسلام، و القيام بشرائعه،

فجهاده لنفسه على ذلك، من باب أولى و أحرى؛

–و لأن من لم يقو على الجهاد، فإن ذلك، دليل على ضعف إيمانه،

و شرط تعالى في الإيمان عدم الريب، وهو الشك،

لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني، بما أمر الله بالإيمان به،

الذي لا يعتريه شك، بوجه من الوجوه.

و قوله: {أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ }

أي: الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة،

فإن الصدق، دعوى كبيرة في كل شيء يدعى يحتاج صاحبه إلى حجة وبرهان،

–و أعظم ذلك، دعوى الإيمان، الذي هو مدار السعادة، والفوز الأبدي، و الفلاح السرمدي، فمن ادعاه، وقام بواجباته، ولوازمه، فهو الصادق المؤمن حقًا،

–ومن لم يكن كذلك، علم أنه ليس بصادق في دعواه،

و ليس لدعواه فائدة،

فإن الإيمان في القلب لا يطلع عليه إلا الله تعالى.

فإثباته و نفيه،من باب تعليم الله بما في القلب،و هذا سوء أدب،و ظن بالله، و لهذا قال:

{ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ }

*الميسر:قل -أيها النبي- لهؤلاء الأعراب:

أتُخَبِّرون الله بدينكم وبما في ضمائركم

❍و هذا شامل للأشياء كلها، التي من جملتها،

ما في القلوب من الإيمان و الكفران، و البر و الفجور،

(وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

فإنه تعالى، يعلم ذلك كله، ويجازي عليه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

هذه حالة من أحوال من ادعى لنفسه الإيمان، وليس به،

– فإنه إما أن يكون ذلك تعليمًا لله، وقد علم أنه عالم بكل شيء،

–و إما أن يكون قصدهم بهذا الكلام، المنة على رسوله،

وأنهم قد بذلوا له وتبرعوا بما ليس من مصالحهم،

بل هو من حظوظه الدنيوية،

وهذا تجمل بما لا يجمل، وفخر بما لا ينبغي لهم أن يفتخروا على رسوله به

فإن المنة لله تعالى عليهم،

فكما أنه تعالى يمن عليهم، بالخلق والرزق، والنعم الظاهرة والباطنة،

فمنته عليهم بهدايتهم إلى الإسلام، ومنته عليهم بالإيمان،

أعظم من كل شيء،

و لهذا قال تعالى:

{يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا}

*الميسر:يَمُنّ هؤلاء الأعراب عليك -أيها النبي- بإسلامهم و متابعتهم و نصرتهم لك،

(قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم)

*الميسر:قل لهم: لا تَمُنّوا عليّ دخولكم في الإسلام ؛ فإنّ نفع ذلك إنما يعود عليكم،

(بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ)

و لله المنة عليكم فيه أنْ وفقكم للإيمان به وبرسوله

(إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)

*الميسر:في إيمانكم.

***كما قال النبي

صحيح البخاري 4330 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ،
قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺيَوْمَ حُنَيْنٍ،
قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا،
فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ
فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي،
وَ كُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي»
كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ،
قَالَ:«مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ».
قَالَ:كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمَنُّ،
قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا،
أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَ البَعِيرِ
وَ تَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺإِلَى رِحَالِكُمْ
لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ،
وَ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَ شِعْبَهَا،
الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَ النَّاسُ دِثَارٌ،
إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ ( )

(أفاء) أعطاه الغنائم وأصل الفيئ الرجوع فكأن الأموال في الأصل للمسلمين فغلب عليها الكفار ثم رجعت إليهم.

(وجدوا) حزنوا.

(ما أصاب الناس) لم ينلهم ما نال الناس من العطاء.

(عالة) جمع عائل وهو الفقير.

(أمن) من المن وهو الفضل.

(كذا وكذا) كناية عما يقال.

(شعار) هو الثوب الذي يلي الجلد من البدن.

{إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ}

أي: الأمور الخفية فيهما، التي تخفى على الخلق، كالذي في لجج البحار، و مهامه القفار، و ما جنه الليل أو واراه النهار،

يعلم قطرات الأمطار،و حبات الرمال،و مكنونات الصدور،و خبايا الأمور.

{وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: 59]

{وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ}

يحصي عليكم أعمالكم، و يوفيكم إياها،

و يجازيكم عليها بما تقتضيه رحمته الواسعة، و حكمته البالغة.

(دثار) هو الثوب الذي يكون فوق الشعار.

(أثرة) ينفرد بالمال المشترك ونحوه دونكم ويفضل عليكم بذلك غيركم.

(الحوض) الذي هو لي في الجنة]

سورة ق-و هي مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ
عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ
وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥ أَفَلَمۡ
يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ
مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩
وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ
١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣
وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي
لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥

50-تفسير سورة ق-وهي مكية

***صحيح مسلم (891)

أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، سَأَلَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ:

مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟

فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِ

(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)

وَ(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)

صحيح مسلم (8736)

عَنْ بِنْتٍ لِحَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، قَالَتْ:

«مَا حَفِظْتُ ق، إِلَّا مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَخْطُبُ بِهَا كُلَّ جُمُعَةٍ»،

قَالَتْ: وَكَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رَسُولِ اللهِ ﷺوَاحِدًا( )

قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا

شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣

قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ

{قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ }

يقسم تعالى بالقرآن المجيد أي: وسيع المعاني عظيمها،

كثير الوجوه كثير البركات، جزيل المبرات.

و المجد: سعة الأوصاف وعظمتها،

وأحق كلام يوصف بهذا، هذا القرآن

الذي قد احتوى على علوم الأولين والآخرين،

الذي حوى من الفصاحة أكملها،

و من الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها،

و هذا موجب لكمال اتباعه، و سرعة الانقياد له،

و شكر الله على المنة به.

 (وكان تنورنا وتنور رسول الله ﷺواحدا) إشارة إلى حفظها ومعرفتها بأحوال النبي ﷺوقربها من منزله]

ولكن أكثر الناس، لا يقدر نعم الله قدرها،

***كقوله {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت: 42]

ولهذا قال تعالى:

{ بَلْ عَجِبُوٓاْ }

أي: المكذبون للرسول ﷺ،

{أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ }

أي: ينذرهم ما يضرهم، و يأمرهم بما ينفعهم،

و هو من جنسهم، يمكنهم التلقي عنه، و معرفة أحواله و صدقه.

فتعجبوا من أمر، لا ينبغي لهم التعجب منه،

بل يتعجب من عقل من تعجب منه.

{فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ }

الذين حملهم كفرهم و تكذيبهم، لا نقص بذكائهم و آرائهم

{هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ }

أي: مستغرب، و هم في هذا الاستغراب بين أمرين:

1-إما صادقون في استغرابهم و تعجبهم،

فهذا يدل على غاية جهلهم، و ضعف عقولهم،

بمنزلة المجنون، الذي يستغرب كلام العاقل،

و بمنزلة الجبان الذي يتعجب من لقاء الفارس للفرسان،

و بمنزلة البخيل، الذي يستغرب سخاء أهل السخاء،

فأي ضرر يلحق من تعجب من هذه حاله؟

و هل تعجبه، إلا دليل على زيادة و ظلمه و جهله؟

2–و إما أن يكونوا متعجبين، على وجه يعلمون خطأهم فيه،

فهذا من أعظم الظلم و أشنعه.

***كقوله { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ } [يونس: 2]

❍ثم ذكر وجه تعجبهم

فقال: {أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا}

فقاسوا قدرة من هو على كل شيء قدير، الكامل من كل وجه،

بقدرة العبد الفقير العاجز من جميع الوجوه،

وقاسوا الجاهل، الذي لا علم له، بمن هو بكل شيء عليم

(ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ)

* الميسر:كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى ما كنا عليه؟

ذلك رجع بعيد الوقوع

(قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ)

الذي يعلم ما تنقص الأرض من أجسادهم مدة مقامهم في برزخهم،

(وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ)

و قد أحصى في كتابه الذي هو عنده محفوظ عن التغيير و التبديل،
كل ما يجري عليهم في حياتهم، و مماتهم،
و هذا الاستدلال، بكمال علمه، و سعته التي لا يحيط بها إلا هو،
على قدرته على إحياء الموتى.

أي:{ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ }
كلامهم الذي صدر منهم، إنما هو عناد و تكذيب للحق الذي هو أعلى أنواع الصدق

{لَّمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ }
أي: مختلط مشتبه، لا يثبتون على شيء، و لا يستقر لهم قرار

*كقوله{ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ} [الذاريات:9]
يصرف عنه من صُرِف عن الايمان به لإعراضه عن أدلة الله و براهينه اليقينية فلم يوفَّق إلى الخير.
– فتارة يقولون عنك: إنك ساحر، و تارة مجنون، و تارة شاعر،
و كذلك جعلوا القرآن عضين :أقساما
(منهم من يقول انه سحر أو يقولون كهانة ...ليصدوا الناس عنه)
كل قال فيه، ما اقتضاه رأيه الفاسد،
و هكذا، كل من كذب بالحق،
فإنه في أمر مختلط، لا يدرى له وجهة و لا قرار، فترى أموره متناقضة مؤتفكة

كما أن من اتبع الحق و صدق به،

قد استقام أمره، و اعتدل سبيله، و صدق فعله قيله.

لما ذكر تعالى حالة المكذبين، و ما ذمهم به

دعاهم إلى النظر في آياته الأفقية، كي يعتبروا، و يستدلوا بها،

على ما جعلت أدلة عليه

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

فقال: {أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ}

لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة و شد رحل،بل هو في غاية السهولة،

فينظرون

{كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا}

قبة مستوية الأرجاء، ثابتة البناء،

{ وَزَيَّنَّٰهَا }

مزينة بالنجوم الخنس، و الجوار الكنس،

التي ضربت من الأفق إلى الأفق في غاية الحسن و الملاحة،

{وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ }

لا ترى فيها عيبًا، و لا فروجًا، و لا خلالا و لا إخلالا.

***كقوله {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملك: 3]

{ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك: 4]

كليل متعب ان يري عيبا او نقصا

قد جعلها الله سقفًا لأهل الأرض،و أودع فيها من مصالحهم الضرورية ما أودع.

{و} إلى

{ وَٱلْأَرْضَ }

كيف

{مَدَدْنَٰهَا }

و وسعناها، حتى أمكن كل حيوان السكون فيها و الاستقرار و الاستعداد لجميع مصالحه،

{ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ }

و أرساها بالجبال، لتستقر من التزلزل، و التموج،

{وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ}

أي: من كل صنف من أصناف النبات

{بَهِيجٍ}

***حسن نضر

التي تسر ناظرها،و تعجب مبصرها،و تقر عين رامقها،لأكل بني آدم،

و أكل بهائمهم و منافعهم،

{تَبْصِرَةً}

يتبصر بها، من عمى الجهل،

{وَذِكْرَىٰ}

يتذكر بها، ما ينفع في الدين والدنيا،

و يتذكر بها ما أخبر الله به، وأخبرت به رسله،

و ليس ذلك لكل أحد،بل

{لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ}

إلى الله أي:

***خاضع خائف وجل رجاع الي الله

–مقبل عليه بالحب والخوف والرجاء، و إجابة داعيه،

و أما المكذب والمعرض، فما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون.

{وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا}

و كذلك ما يخرج الله بالمطر،

{فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ}

و خص من تلك المنافع بالذكر، الجنات المشتملة على الفواكه اللذيذة،

من العنب و الرمان و الأترج و التفاح، وغير ذلك، من أصناف الفواكه،

{وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ }

و التي تحتها من حب الحصيد،

أي: من الزرع المحصود، من بر و شعير، و ذرة، و أرز، و دخن و غيره.

فإن في النظر في هذه الأشياء[بَصِيرَةً وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ]

{ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ }

و من النخيل الباسقات، أي: الطوال،التي يطول نفعها،و ترتفع إلى السماء، حتى تبلغ مبلغًا، لا يبلغه كثير من الأشجار،

*حوالي30 متر

فتخرج من الطلع النضيد، في قنوانها،

* الميسر :لها طلع متراكب بعضه فوق بعضٍ.

{رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ }

ما هو رزق للعباد، قوتًا وأدمًا وفاكهة، يأكلون منه ويدخرون، هم ومواشيهم

و حاصـــــــل هذا:-

1-أن ما فيها من الخلق الباهر، و الشدة و القوة،

دليل على كمال قدرة الله تعالى،

2- و ما فيها من الحسن و الإتقان، و بديع الصنعة، و بديع الخلقة

دليل على أن الله أحكم الحاكمين، وأنه بكل شيء عليم،

3-وما فيها من المنافع والمصالح للعباد، دليل على رحمة الله،

التي وسعت كل شيء، وجوده، الذي عم كل حي،

4–و ما فيها من عظم الخلقة، و بديع النظام،

دليل على أن الله تعالى، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد،

الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكن له كفوًا أحد،

وأنه الذي لا تنبغي العبادة، والذل والحب إلا له تعالى.

5–و ما فيها من إحياء الأرض بعد موتها،

دليل على إحياء الله الموتى، ليجازيهم بأعمالهم،

و لهذا قال:{ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ }

***كما قال الله

{ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر: 57]

*الميسر:و أحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة قد أجدبت وقحطت، فلا زرع فيها ولا نبات،

كما أحيينا بذلك الماء الأرض الميتة

نخرجكم يوم القيامة أحياء بعد الموت.

❍ولما ذكرهم بهذه الآيات السماوية والأرضية،

خوفهم أخذات الأمم، و ألا يستمروا على ما هم عليه من التكذيب،

فيصيبهم ما أصاب إخوانهم من المكذبين، فقال:

كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدِ ﴿١٥﴾

{كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ}

أي: كذب الذين من قبلهم من الأمم، رسلهم الكرام، وأنبياءهم العظام، ك "نوح" كذبه قومه،

وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ

*الميسر :أصحاب البئر

*الجزائري:كذب أصحاب الرس

و هي بئر كانوا مقيمين حولها يعبدون الأصنام

{وَثَمُودُ}

كذبوا صالحًا

{ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ}

و عاد، كذبوا "هودًا "

{وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ}

كذبوا "لوطًا "

{وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ}

*الأيْكَةُ : الشّجر الكثير الملتفّ:المعجم الوسيط

كذبوا "شعيبًا "

{وَقَوْمُ تُبَّعٍ }

*الميسر :و قوم تُبّع الحِمْيَري

و قوم تبع، و تبع كل ملك ملك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام

فقوم تبع كذبوا الرسول، الذي أرسله الله إليهم،

و لم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول،

و أي تبع من التبابعة، لأنه –و الله أعلم– كان مشهورًا عند العرب لكونهم من العرب العرباء،

الذين لا تخفى ماجرياتهم على العرب خصوصًا مثل هذه الحادثة العظيمة.

{ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ}

* الميسر :فحق عليهم الوعيد الذي توعدهم الله به على كفرهم

فهؤلاء كلهم كذبوا الرسل، الذين أرسلهم الله إليهم،

فحق عليهم وعيد الله وعقوبته،

ولستم أيها المكذبون لمحمد ﷺ، خيرًا منهم،

و لا رسلهم أكرم على الله من رسولكم،

فاحذروا جرمهم، لئلا يصيبكم ما أصابهم.

*** {كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ}

أَيْ: كُلٌّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ وَهَؤُلَاءِ الْقُرُونِ كَذَّبَ رَسُولَهُ وَمَنْ كَذَّبَ رَسُولًا فَكَأَنَّمَا كَذَّبَ جَمِيعَ الرُّسُلِ،

كَقَوْلِهِ: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشُّعَرَاءِ: 105]

وَ إِنَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ وَاحِدٌ، فَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَوْ جَاءَهُمْ جَمِيعُ الرُّسُلِ كَذَّبُوهُمْ،

ثم استدل تعالى بالخلق الأول –و هو المنشأ الأول – على الخلق الآخر و هو النشأة الآخرة.

فكما أنه الذي أوجدهم بعد العدم

كذلك يعيدهم بعد موتهم و صيرورتهم إلى الرفات والرمم،

فقال: {أَفَعَيِينَا }

أي: أفعجزنا وضعفت قدرتنا

{بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ } ؟

ليس الأمر كذلك، فلم نعجز و نعي عن ذلك،

* الميسر:أفَعَجَزْنا عن ابتداع الخلق الأول الذي خلقناه و لم يكن شيئًا، فنعجز عن إعادتهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم

{ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ}

و ليسوا في شك من ذلك،

و إنما هم في لبس من خلق جديد هذا الذي شكوا فيه،

و التبس عليهم أمره، مع أنه لا محل للبس فيه،

لأن الإعادة، أهون من الابتداء

كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} .

*** كقوله { وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الروم: 27]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ،
وَ شَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ،
فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ :
فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَ لَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ،
وَ أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ :
فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَ لَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ "

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى
ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ
سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ
كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ
حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ
مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا
مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾
مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ
﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾
مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾
إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾
مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾
{وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ}

يخبر تعالى، أنه المتفرد بخلق جنس الإنسان، ذكورهم و إناثهم،

و أنه يعلم أحواله،

و ما يسره، و يوسوس في صدره

{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}

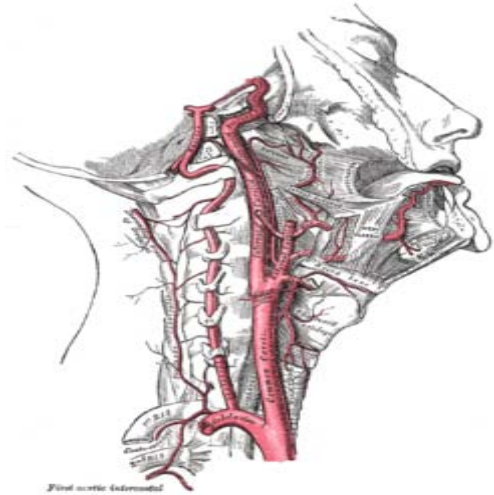

وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان،

وهو العرق المكتنف لثغرة النحر

***اي الملائكة { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة: 85]

كما قال تعالي {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]

❍و هذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره و باطنه،

القريب منه في جميع أحواله،

فيستحي منه أن يراه، حيث نهاه، أو يفقده، حيث أمره،

و كذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال،

فيجلهم و يوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه،

مما لا يرضي رب العالمين،

*** صحيح البخاري (6664)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَرْفَعُهُ قَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ، أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ»

و لهذا قال: { إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ }

أي:***الملكين- يتلقيان عن العبد أعماله كلها، واحد

{عَنِ ٱلْيَمِينِ }

يكتب الحسنات

{و} الآخر

{وَعَنِ ٱلشِّمَالِ }

يكتب السيئات، و كل منهما

{قَعِيدٌ }

بذلك متهيئ لعمله الذي أعد له، ملازم له

***مترصد

{ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ }

خير أو شر

{إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}

أي: مراقب له، حاضر لحاله،

كما قال تعالى:

{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(10) كِرَامًا كَاتِبِينَ 11 يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ12}الانفطار

وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

أي {وَجَآءَتْ }

هذا الغافل المكذب بآيات الله

{سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ }

الذي لا مرد له و لا مناص،

*** صحيح البخاري -6510

أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَانَتْ تَقُولُ:

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ،

يَشُكُّ عُمَرُ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ،

فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ،

وَ يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ

فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «العُلْبَةُ مِنَ الخَشَبِ، وَ الرَّكْوَةُ مِنَ الأَدَمِ»

{ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ}

أي: تتأخر و تنكص عنه.

***مـــــــــــــا

1-بمعني الذي

2-أو ما نافية اي لك ما كنت تقدر علي الفرار منه

{ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ }

أي: اليوم الذي يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب،

و المؤمنين ما وعدهم به من الثواب.

*** سنن الترمذي ت شاكر - 3243

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ التَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ

وَ حَنَى جَبْهَتَهُ

وَ أَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ»

قَالَ المُسْلِمُونَ: فَ كَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا»

{ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ }

يسوقها إلى موقف القيامة

***ملك يسوقها الي المحشر

فلا يمكنها أن تتأخر عنه،

{وَشَهِيدٞ }

يشهد عليها بأعمالها، خيرها و شرها،

***و ملك يشهد عليه بأعماله

و هذا يدل على اعتناء الله بالعباد، و حفظه لأعمالهم، و مجازاته لهم بالعدل، فهذا الأمر، مما يجب أن يجعله العبد منه على بال،

و لكن أكثر الناس غافلون،

و لهذا قال: {لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا}

أي: يقال للمعرض المكذب يوم القيامة هذا الكلام، توبيخًا، و لومًا و تعنيفًا

أي:لقد كنت مكذبًا بهذا، تاركًا للعمل له فالآن

{فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ }

الذي غطى قلبك، فكثر نومك، و استمر إعراضك

{فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ}

***قوي-ينظر ما يزعجه و يروعه، من أنواع العذاب و النكال.

*** { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [مريم: 38]

{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: 12]

{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ99 لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}

[المؤمنون: 99، 100]

أو هذا خطاب من الله للعبد، فإنه في الدنيا، في غفلة عما خلق له،

و لكنه يوم القيامة، ينتبه ويزول عنه وسنه،

و لكنه في وقت لا يمكنه أن يتدارك الفارط، و لا يستدرك الفائت،

و هذا كله تخويف من الله للعباد، و ترهيب،

بذكر ما يكون على المكذبين، في ذلك اليوم العظيم.

وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى: { وَقَالَ قَرِينُهُۥ }

أي: قرين هذا المكذب المعرض، من الملائكة،

الذين وكلهم الله على حفظه، وحفظ أعماله،

فيحضره يوم القيامة و يحضر أعماله و يقول: {هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ}

أي: قد أحضرت ما جعلت عليه،

*الزبدة:محفوظ معد حاضر

❍من حفظه، و حفظ عمله، فيجازى بعمله.

و يقال لمن استحق النار: { أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ }

أي: كثير الكفر والعناد لآيات الله،

المكثر من المعاصي، المجترئ على المحارم و المآثم.

{مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ }

أي: يمنع الخير الذي عنده الذي أعظمه،الإيمان بالله وملائكته و كتبه،و رسله

مناع، لنفع ماله و بدنه،

{مُعْتَدٍ }

على عباد الله، و على حدوده

{مُّرِيبٍ }

أي: شاك في وعد الله و وعيده،

فلا إيمان و لا إحسان

و لكن وصفه الكفر و العدوان، و الشك و الريب، و الشح،

و اتخاذ الآلهة من دون الرحمن،

و لهذا قال: {ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ}

عبد معه غيره،ممن لا يملك لنفسه نفعًا،و لا ضرًا،و لا موتًا ولا حياة،و لا

نشورًا،

{فَأَلْقِيَاهُ }

أيها الملكان القرينان

{فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ}

الذي هو معظمها و أشدها و أشنعها.

{قَالَ قَرِينُهُۥ }

الشيطان، متبرئًا منه، حاملا عليه إثمه

{رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ}

لأني لم يكن لي عليه سلطان، و لا حجة و لا برهان

{ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ}

و لكن كان في الضلال البعيد،

فهو الذي ضل وأبعد عن الحق باختياره

كما قال في الآية الأخرى:

{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ} [إبراهيم: 22] } الآية .

قال الله تعالى مجيبًا لاختصامهم:

{ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ}

أي: لا فائدة في اختصامكم عندي،

{و} الحال أني

{وَقَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ}

أي: جاءتكم رسلي بالآيات البينات، و الحجج الواضحات،

و البراهين الساطعات، فقامت عليكم حجتي،

و انقطعت حجتكم،

و قدمتم علي بما أسلفتم من الأعمال التي وجب جزاؤها.

{ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ }

أي: لا يمكن أن يخلف ما قاله الله و أخبر به،

لأنه لا أصدق من الله قيلا ولا أصدق حديثًا.

{وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ }

بل أجزيهم بما عملوا من خير و شر،

فلا يزاد في سيئاتهم، و لا ينقص من حسناتهم.

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى، مخوفًا لعباده:

{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ }

و ذلك من كثرة ما ألقي فيها،

{وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ }

أي: لا تزال تطلب الزيادة، من المجرمين العاصين،

غضبًا لربها، و غيظًا على الكافرين.

و قد وعدها الله ملأها،

*** صحيح البخاري485

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ
" تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ،
فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ،
وَ قَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ،
قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ:
أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي،
وَ قَالَ لِلنَّارِ:
إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي،
وَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا،
فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ
فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَ يُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ،
وَ لاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا،
وَ أَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا "

كما قال تعالى { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [هود: 119]

حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبيه،

فينزوي بعضها على بعض، وتقول: قط قط، قد اكتفيت و امتلأت.

{ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ }

أي: قربت بحيث تشاهد وينظر ما فيها،

من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، و إنما أزلفت و قربت،

{ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ }

لأجل المتقين لربهم، التاركين للشرك، صغيره و كبيره،

الممتثلين لأوامر ربهم، المنقادين له،

و يقال لهم على وجه التهنئة: {هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ}

أي: هذه الجنة وما فيها، مما تشتهيه الأنفس، و تلذ الأعين،

هي التي وعد الله

{لِكُلِّ أَوَّابٍ}

أي: رجاع إلى الله، في جميع الأوقات، بذكره و حبه،

و الاستعانة به، و دعائه، و خوفه، و رجائه.

{حَفِيظٍ}

أي: يحافظ على ما أمر الله به، بامتثاله على وجه الإخلاص والإكمال له،

على أكمل الوجوه، حفيظ لحدوده.

{مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ}

أي: خافه على وجـــــه :-

1-المعرفة بربه،

2-و الرجاء لرحمته

و لازم على خشية الله في حال غيبه أي: مغيبه عن أعين الناس،

و هذه هي الخشية الحقيقية،

و أما خشيته في حال نظر الناس و حضورهم، فقد تكون رياء و سمعة،

فلا تدل على الخشية،

و إنما الخشية النافعة، خشية الله في الغيب و الشهادة

و يحتمل أن المراد بخشية الله بالغيب كالمراد بالإيمان بالغيب

و أن هذا مقابل للشهادة حيث يكون الإيمان و الخشية ضروريًا لا اختياريًا

حيث يعاين العذاب و تأتي آيات الله وهذا هو الظاهر .

**** صحيح البخاري-6806 عن ابي هريرة ان النبيﷺ

قال: وَ رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلاَءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ

{وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ}

أي: وصفه الإنابة إلى مولاه، و انجذاب دواعيه إلى مراضيه،

و يقال لهؤلاء الأتقياء الأبرار:

{ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ}

أي: دخولا مقرونًا بالسلامة من الآفات و الشرور،

مأمونًا فيه جميع مكاره الأمور،

فلا انقطاع لنعيمهم، و لا كدر و لا تنغيص،

{ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ}

الذي لا زوال له و لا موت، و لا شيء من المكدرات.

{لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا}

أي: كل ما تعلقت به مشيئتهم، فهو حاصل فيها

{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}

أي: ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم،

مما لا عين رأت،

و لا أذن سمعت،

و لا خطر على قلب بشر،

و أعظم ذلك، وأجله، وأفضله:-

النظر إلى وجه الله الكريم، و التمتع بسماع كلامه، و التنعم بقربه،

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

*** {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس: 26]

-سنن ابن ماجه 187-الالباني:صحيح

عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺهَذِهِ الْآيَةَ:

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26]

وَ قَالَ:" إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارِ،

نَادَى مُنَادٍ:

يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ،

فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟

أَلَمْ يُثَقِّلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا، وَ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَ يُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَ يُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟

قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ،

فَوَ اللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ - يَعْنِي إِلَيْهِ -

وَ لَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ "

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ
﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن
لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ
ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ
وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ
﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سورة الذاريات-و هي مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن
مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ
أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى –مخوفًا للمشركين المكذبين للرسول:–

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا}

أي: أمما كثيرة هم أشد من هؤلاء بطشًا

أي: قوة وآثارًا في الأرض.

و لهذا قال:{فَنَقَّبُواْ فِى ٱلۡبِلَٰدِ}

*الميسر:فطوّفوا في البلاد و سلكوا كل طريق؛

طلبا للهرب من الهلاك،

هل من مهرب من عذاب الله حين جاءهم؟

أي: بنوا الحصون المنيعة والمنازل الرفيعة،

وغرسوا الأشجار، وأجروا الأنهار، وزرعوا، وعمروا، ودمروا،

فلما كذبوا رسل الله، و جحدوا آيات الله،

أخذهم الله بالعقاب الأليم، و العذاب الشديد،

*** أَيْ سَارُوا فِيهَا يَبْتَغُونَ الْأَرْزَاقَ وَ الْمَتَاجِرَ وَ الْمَكَاسِبَ أَكْثَرَ مِمَّا طُفْتُمْ أَنْتُمْ فِيهَا

وَ يُقَالُ لِمَنْ طَوَّفَ فِي الْبِلَادِ: نَقَّبَ فِيهَا.

قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

لَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الْآفَاقِ حَتّى ... رضيتُ من الغَنِيمة بالإيَابِ

فـــ{هَلۡ مِن مَّحِيصٍ}

أي: لا مفر لهم من عذاب الله، حين نزل بهم، و لا منقذ،

فلم تغن عنهم قوتهم، و لا أموالهم، و لا أولادهم.

{إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ}

أي: قلب عظيم حي، ذكي، زكي،

فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات الله، تذكر بها، و انتفع، فارتفع

{ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ}

و كذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله،

و استمعها، استماعًا يسترشد به، و قلبه

{شَهِيدٌ }

أي: حاضر، فهذا له أيضا ذكرى و موعظة، و شفاء و هدى.

و أما المعرض، الذي لم يلق سمعه إلى الآيات، فهذا لا تفيده شيئًا،

لأنه لا قبول عنده، و لا تقتضي حكمة الله هداية من هذا وصفه و نعته.

{ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾

(وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ)

و هذا إخبار منه تعالى عن قدرته العظيمة، و مشيئته النافذة،

التي أوجد بها أعظم المخلوقات

***كقوله {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأحقاف: 33]

{وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ }

أولها يوم الأحد، و آخرها يوم الجمعة،

{ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ }

من غير تعب، و لا نصب، و لا لغوب، و لا إعياء،

فالذي أوجدها –على كبرها و عظمتها–

قادر على إحياء الموتى، من باب أولى و أحرى.

{فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ}

من الذم لك و التكذيب بما جئت به،

{وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ}

و اشتغل عنهم و اله بطاعة ربك و تسبيحه،

أول النهار وآخره،

و في أوقات الليل،

و أدبار الصلوات.

فإن ذكر الله تعالى، مسل للنفس، مؤنس لها، مهون للصبر.

***وَ كَانَتِ الصَّلَاةُ الْمَفْرُوضَةُ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ :

ثِنْتَيْنِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي وَقْتِ الْفَجْرِ، وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ،

وَ قِيَامُ اللَّيْلِ كَانَ وَاجِبًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺوَ عَلَى أُمَّتِهِ حَوْلًا

ثُمَّ نُسِخَ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ وُجُوبُهُ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَسَخَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ،

وَ لَكِنْ مِنْهُنَّ صَلَاةُ الصُّبْحِ وَ الْعَصْرِ،

فَهُمَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ.

صحيح البخاري-573

عن جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺإِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا،

لَاتُضَامُّونَ - أَوْ لاَ تُضَاهُونَ - فِي رُؤْيَتِهِ
فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا»
ثُمَّ قَالَ: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»( )

{وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ}

***قيل هو التسبيح بعد الصلاة و يؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين

صحيح البخاري -843

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ الفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَ النَّعِيمِ المُقِيمِ
يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَ يَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ،
وَ لَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا،
وَ يَعْتَمِرُونَ، وَ يُجَاهِدُونَ، وَ يَتَصَدَّقُونَ،
قَالَ: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ
وَ لَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ،
وَ كُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ
تُسَبِّحُونَ وَ تَحْمَدُونَ وَ تُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَ ثَلاَثِينَ»
فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا،
فَقَالَ بَعْضُنَا:
نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَ نَحْمَدُ ثَلاَثًا وَ ثَلاَثِينَ، وَ نُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ،
فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ،
فَقَالَ: تَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَ الحَمْدُ لِلَّهِ، وَ اللَّهُ أَكْبَرُ،
حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَ ثَلاَثِينَ»( )

 (لا تضاهون) من المضاهاة): أي لا يشتبه عليكم ولا ترتابون]

(الدثور) جمع دثر وهو المال الكثير.

وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

أي: {وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ }

بقلبك نداء المنادي وهو إسرافيل عليه السلام

حين ينفخ في الصور

{مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ }

من الخلق

{ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ }

أي: كل الخلائق يسمعون تلك الصيحة المزعجة المهولة

{بِٱلۡحَقِّۚ }

الذي لا شك فيه و لا امتراء.

(بالدرجات العلا) المراتب العليا في الجنة. (النعيم) ما يتنعم به.
(المقيم) الدائم.
(فضل من أموال) أموال زائدة عن حاجتهم.
(أحدثكم بأمر إن أخذتم) في نسخة (أحدثكم بما إن أخذتم به).
(ظهرانيه) من أنتم بينهم.
(منهن كلهن) من كل حملة منهن]

{ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ }

من القبور، الذي انفرد به القادر على كل شيء،

و لهذا قال:

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا }

أي: عن الأموات

{سِرَاعًا}

أي: يسرعون لإجابة الداعي لهم، إلى موقف القيامة

***صحيح مسلم -2278

أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

وَ أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ،

وَ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»

{ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ }

أي: هين على الله يسير لا تعب فيه و لا كلفة

***كقوله{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [القمر: 50]

{مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}

[لقمان: 28]

{ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} لك، مما يحزنك، من الأذى،

و إذا كنا أعلم بذلك، فقد علمت كيف اعتناؤنا بك، و تيسيرنا لأمورك،

و نصرنا لك على أعدائك،

فليفرح قلبك ولتطمئن نفسك،

و لتعلم أننا أرحم بك و أرأف، من نفسك،

فلم يبق لك إلا انتظار وعد الله،

و التأسي بأولي العزم، من رسل الله،

***كقوله{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ(97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}

[الحجر: 97 - 99]

{وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ }

أي: مسلط عليهم

{إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}

و لهذا قال: {فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ }

و التذكيـــــــر:-

هو تذكير ما تقرر في العقول والفطر، مـــــــن:-

1-محبة الخير و إيثاره، و فعله،

2-و من بغض الشر ومجانبته،

و إنما يتذكر بالتذكير، من يخاف وعيد الله،

و أما من لم يخف الوعيد، و لم يؤمن به،

فهذا فائدة تذكيره، إقامة الحجة عليه،

لئلا يقول:{ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ} [المائدة: 19]

***كقوله{ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } [الرعد: 40]

{لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} [الغاشية: 22]

51–تفسير سورة الذاريات–و هي مكية–بسم الله الرحمن الرحيم

وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾

*** عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:

أَنَّهُ صَعِدَ مِنْبَرَ الْكُوفَةِ

فَقَالَ: لَا تَسْأَلُونِي عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَ لَا عَنْ سُنَّةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِذَلِكَ.

فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكُوَّاءِ

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا} ؟ قَالَ: الرِّيحُ

قَالَ: {فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا} ؟ قَالَ: السَّحَابُ.

قَالَ: {فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا} ؟ قَالَ: السُّفُنُ.

قَالَ: {فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا} ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ ( )

□ (*) رواه الطبري في تفسيره (115/26) عن محمد بن المثنى عن محمد بن جعفر عن شعبة به

هذا قسم من الله الصادق في قيله، بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح والمنافع، ما جعل على أن وعده صدق،

و أن الدين الذي هو يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا محالة، ما له من دافع،

فإذا أخبر به الصادق العظيم و أقسم عليه،

و أقام الأدلة والبراهين عليه،

فلم يكذب به المكذبون، و يعرض عن العمل له العاملون.

{ وَالذَّارِيَاتِ }

و المراد بالذاريات: هي الرياح التي تذروا، في هبوبها

*الميسر:أقسم الله تعالى بالرياح المثيرات للتراب،

{ذَرْوًا }

بلينها، و لطفها، و لطفها و قوتها، و إزعاجها.

{ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا }

السحاب، تحمل الماء الكثير، الذي ينفع الله به البلاد و العباد.

الوقر:الحمل الثقيل

{ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا }

النجوم، التي تجري على وجه اليسر و السهولة،

1-فتتزين بها السماوات،

2-و يهتدى بها في ظلمات البر و البحر،

3–و ينتفع بالاعتبار بها.

الجاريات:السحب

*الميسر:فالسفن التي تجري في البحار جريًا ذا يسر وسهولة

{فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا}

الملائكة التي تقسم الأمر و تدبره بإذن الله،

فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا و أمور الآخرة،

لا يتعدى ما قدر له و ما حد و رسم، و لا ينقص منه.

(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ)

*الميسر:إن الذي توعدون به -أيها الناس- من البعث و الحساب لكائن حق يقين

(وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ)

*الميسر:و إن الحساب و الثواب على الأعمال لكائن لا محالة.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴿٨﴾ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾
ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾
ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ
ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ
يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ
أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ
مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ
فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ
قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾
فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾
قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴿٨﴾ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ﴿٩﴾

(وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ)

أي: والسماء ذات الطرائق الحسنة،

التي تشبه حبك الرمال، و مياه الغدران، حين يحركها النسيم

---

*من موقع الكحيل:-من هنا

{إِنَّكُمْ }

أيها المكذبون لمحمد ﷺ

{لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ}

منكم، من يقول ساحر،

و منكم من يقول كاهن،

و منكم من يقول: مجنون،

* كاذب-شاعر

إلى غير ذلك من الأقوال المختلفة، الدالة على حيرتهم و شكهم،

وأن ما هم عليه باطل.

***ما بين مصدق للقرآن و مكذب به

او ايها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف لا يلتئم و لا يجتمع

{يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ}

أي: يصرف عنه من صرف عن الإيمان،

وانصرف قلبه عن أدلة الله اليقينية وبراهينه،

واختلاف قولهم، دليل على فساده وبطلانه،

***{ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ161 مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ162 إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ }[الصافات]

بفاتنين: بمضلِّين أحدًا

–كما أن الحق الذي جاء به محمد ﷺ، متفق يصدق بعضه بعضًا ،

لا تناقض فيه، ولا اختلاف، وذلك، دليل على صحته، وأنه من عند الله

{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }

[النساء: 82]

قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى: {قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ }

أي: قاتل الله الذين كذبوا على الله، و جحدوا آياته، و خاضوا بالباطل، ليدحضوا به الحق، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

*الميسر:لُعن

{ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ}

أي: في لجة من الكفر، و الجهل، و الضلال،

{سَاهُونَ }

لاهون غافلون

{يَسْـَٔلُونَ }

على وجه الشك والتكذيب

***و العناد و الاستبعاد

[أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ]

أي: متى يبعثون، مستبعدين لذلك، فلا تسأل عن حالهم و سوء مآلهم

{يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ }

أي: يعذبون بسبب ما انطووا عليه من خبث الباطن و الظاهر

***كما يفتن الذهب علي النار و يقال لهم :

{ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ }

أي: العذاب و النار، الذي هو أثر ما افتتنوا به،

من الابتلاء الذي صيرهم إلى الكفر، و الضلال،

{هَٰذَا }

العذاب، الذي وصلتم إليه، هو

{ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ }

فالآن، تمتعوا بأنواع

العقاب و النكال و السلاسل و الأغلال، و السخط و الوبال.

* الميسر –يونس51

(أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)

أبعدما وقع عذاب الله بكم –أيها المشركون– آمنتم في وقت لا ينفعكم فيه الإيمان؟

و قيل لكم حينئذ: آلآن تؤمنون به، و قد كنتم من قبل تستعجلون به؟

إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى في ذكر ثواب المتقين و أعمالهم،التي أوصلتهم إلى ذلك الجزاء:

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ}

أي: الذين كانت التقوى شعارهم، و طاعة الله دثارهم

{فِي جَنَّتٍ }

مشتملات على جميع أصناف الأشجار، و الفواكه،

التي يوجد لها نظير في الدنيا، و التي لا يوجد لها نظير،

مما لم تنظر العيون إلى مثله،و لم تسمع الآذان،و لم يخطر على قلوب العباد

{وَعُيُونٍ}

سارحة، تشرب منها تلك البساتين، و يشرب بها عباد الله، يفجرونها تفجيرًا.

{ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ }

يحتمل أن المعنى :-

1-أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم، من جميع أصناف النعيم،

فأخذوا ذلك، راضين به، قد قرت به أعينهم، و فرحت به نفوسهم،

و لم يطلبوا منه بدلا و لا يبغون عنه حولا

و كل قد ناله من النعيم، ما لا يطلب عليه المزيد،

2–و يحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا،

و أنهم آخذون ما آتاهم الله، من الأوامر و النواهي،

أي: قد تلقوها بالرحب، و انشراح الصدر، منقادين لما أمر الله به،

بالامتثال على أكمل الوجوه،

و لما نهى عنه، بالانزجار عنه لله، على أكمل وجه،

فإن الذي أعطاهم الله من الأوامر و النواهي،

هو أفضل العطايا، التي حقها، أن تتلقى بالشكر لله عليها، و الانقياد.

و المعنى الأول، ألصق بسياق الكلام، لأنه ذكر وصفهم في الدنيا، و أعمالهم بقوله:

{إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ}

الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم

{ مُحْسِنِينَ}

و هذا شامل لإحسانهم :–

1–بعبادة ربهم، بأن يعبدوه كأنهم يرونه،

فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم

2–و للإحسان إلى عباد الله ببذل النفع و الإحسان،

من مال، أو علم، أو جاه أو نصيحة، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر،

أو غير ذلك من وجوه الإحسان وطرق الخيرات.

****كقوله{ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة: 24]

حتى إنه يدخل في ذلك،

الإحسان بالقول، و الكلام اللين، و الإحسان إلى المماليك،

و البهائم المملوكة، و غير المملوكة

و من أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق

((صلاة الليل)) الدالة على الإخلاص، و تواطؤ القلب و اللسان،

و لهذا قال: {كَانُوا۟ قَلِيلًا}

أي: المحسنون {مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}

أي: كان هجوعهم أي: نومهم بالليل، قليلا

و أما أكثر الليل :

فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة، وقراءة، وذكر، ودعاء، وتضرع.

***اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ "مَا" نَافِيَةٌ، تَقْدِيرُهُ:

كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ لَا يَهْجَعُونَهُ.

قَالَ ابْنُ عباس: لم تكن تَمْضِي عَلَيْهِمْ لَيْلَةٌ إِلَّا يَأْخُذُونَ مِنْهَا وَلَوْ شَيْئًا.

وَ قَالَ قَتَادَةُ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ:

قَلَّ لَيْلَةٌ تَأْتِي عَلَيْهِمْ لَا يُصَلُّونَ فِيهَا لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ

إِمَّا مِنْ أَوَّلِهَا وَإِمَّا مَنْ أَوْسَطِهَا.

وَ قَالَ مُجَاهِدٌ: قَلَّ مَا يَرْقُدُونَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ لَا يَتَهَجَّدُونَ.

وَ كَذَا قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَ أَبُو الْعَالِيَةِ: كَانُوا يُصَلُّونَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَ الْعَشَاءِ.

وَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ، كَانُوا لَا يَنَامُونَ حَتَّى يُصَلُّوا الْعَتَمَةَ.

وَ الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ "مَا" مَصْدَرِيَّةٌ، تَقْدِيرُهُ:
كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ هُجُوعُهُمْ وَنَوْمُهُمْ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.
وَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: {كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} :
كَابَدُوا قِيَامَ اللَّيْلِ، فَلَا يَنَامُونَ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَقَلَّهُ، وَ نَشِطُوا فَمَدُّوا إِلَى السَّحَرِ،
حَتَّى كَانَ الِاسْتِغْفَارُ بِسَحَرٍ. وَقَالَ قَتَادَةُ: قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ:
{كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} :
كَانُوا لَا يَنَامُونَ إِلَّا قَلِيلًا ثُمَّ يَقُولُ: لَسْتُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ.
وَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ:
عَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ بَايَنُونَا بَوْنًا بَعِيدًا،
إِذَا قَوْمٌ لَا نَبْلُغُ أَعْمَالَهُمْ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ.
وَ عَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَإِذَا قَوْمٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ يُكَذِّبُونَ بِكِتَابِ
اللَّهِ وَبِرُسُلِ اللَّهِ، يُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ،
فَوَجَدْتُ مِنْ خَيْرِنَا مَنْزِلَةً قَوْمًا خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا.
***وَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لِأَبِي:
يَا أَبَا أُسَامَةَ، صِفَةٌ لَا أَجِدُهَا فِينَا، ذَكَرَ اللَّهُ قَوْمًا فَقَالَ:
{كَانُوا قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} ،
وَ نَحْنُ وَاللَّهِ قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا نَقُومُ.
فَقَالَ لَهُ أَبِي: طُوبَى لِمَنْ رَقَدَ إِذَا نَعَسَ، وَاتَّقَى اللَّهَ إِذَا اسْتَيْقَظَ.
وَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ:
لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺالْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَنِ انْجَفَلَ.
فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَرَفَتْ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ رَجُل كَذَّابٍ،

فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَ أَفْشُوا السَّلَامَ، و صَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"( )

{وَبِٱلْأَسْحَارِ }

التي هي قبيل الفجر

{هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }

الله تعالى، فمدوا صلاتهم إلى السحر،

ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل، يستغفرون الله تعالى، استغفار المذنب لذنبه، و للاستغفار بالأسحار، فضيلة وخصيصة، ليست لغيره،

كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة:

{وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ}عمران17

***صحيح مسلم 758

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
" إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟
هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟
هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟
حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ "

□رواه أحمد في المسند (451/5) والترمذي في السنن برقم (2485) وابن ماجه في السنن برقم (1334) .صحيح لشواهده

{وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ}

واجب و مستحب

{لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ}

أي: السائل:للمحتاجين الذين يطلبون من الناس

المحروم: الذين لا يطلبون منهم

***صحيح البخاري -1479

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

«لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ

تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَ اللُّقْمَتَانِ، وَ التَّمْرَةُ وَ التَّمْرَتَانِ،

وَ لَكِنِ المِسْكِينُ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ بِهِ،

فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَ لاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ»

وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى –داعيًا عباده إلى التفكر و الاعتبار–:

{وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ}

و ذلك شامل لنفس الأرض، وما فيها، من جبال وبحار، وأنهار، وأشجار، ونبات تدل المتفكر فيها، المتأمل لمعانيها،

على عظمة خالقها، وسعة سلطانه، وعميم إحسانه، وإحاطة علمه، بالظواهر والبواطن.

و كذلك في نفس العبد من العبر و الحكمة و الرحمة ما يدل على أن الله وحده الأحد الفرد الصمد، و أنه لم يخلق الخلق سدى.

***{وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ }

قَالَ قَتَادَةُ: مَنْ تَفَكَّرَ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ عَرَفَ أَنَّهُ إِنَّمَا خُلِقَ وَ لُيِّنَتْ مَفَاصِلُهُ لِلْعِبَادَةِ.

و قوله:{وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ}

أي مادة رزقكم، من الأمطار، و صنوف الأقدار، الرزق الديني و الدنيوي،

{وَمَا تُوعَدُونَ }

من الجزاء في الدنيا والآخرة،

فإنه ينزل من عند الله، كسائر الأقدار.

فلما بين الآيات و نبه عليها تنبيهًا، ينتبه به الذكي اللبيب،

أقسم تعالى على أن وعده وجزاءه حق،

و شبه ذلك، بأظهر الأشياء لنا وهو النطق،

فقال: {فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ}

فكما لا تشكون في نطقكم،

فكذلك لا ينبغي الشك في البعث بعد الموت

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ
قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا
تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ
ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى: {هَلۡ أَتَىٰكَ }

أي: أما جاءك

{حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ }

و نبأهم الغريب العجيب،

و هم: الملائكة، الذين أرسلهم الله، لإهلاك قوم لوط،

و أمرهم بالمرور على إبراهيم، فجاؤوه في صورة أضياف.

{إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ }

مجيبًا لهم

{سَلَٰمٞ }

أي: عليكم

***فرده افضل من التسليم كقوله:

{وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} [النساء: 86]

{قَوْمٌ مُّنكَرُونَ }

أي: أنتم قوم منكرون،

***جبريل و ميكائيل و اسرافيل قدموا في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة لهذا قال{قَوْمٌ مُنْكَرُونَ}

فأحب أن تعرفوني بأنفسكم، و لم يعرفهم إلا بعد ذلك.

(فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ)

و لهذا [فَرَاغَ] إلى أهله أي:

ذهب سريعًا في خفية، ليحضر لهم قراهم،

*** {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} [هود: 69]

أي مشوي علي الرَّضْف

{ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ }

ادناه منهم وعرض عليهم الأكل،

***وَ هَذِهِ الْآيَةُ انْتَظَمَتْ آدَابَ الضِّيَافَةِ:

١ - فَإِنَّهُ جَاءَ بِطَعَامِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بِسُرْعَةٍ،

٢ - وَلَمْ يَمْتَنَّ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا فَقَالَ: "نَأْتِيكُمْ بِطَعَامٍ؟ "

بَلْ جَاءَ بِهِ بِسُرْعَةٍ وَخَفَاءٍ، وَ أَتَى بِأَفْضَلِ مَا وَجَدَ مِنْ مَالِهِ،

وَ هُوَ عِجْلٌ فَتِيٌّ سَمِينٌ مَشْوِيٌّ،
٣ - فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ، لَمْ يَضَعْهُ، وَ قَالَ: اقْتَرِبُوا، بَلْ وَضَعَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ،
٤ - وَ لَمْ يَأْمُرْهُمْ أَمْرًا يَشُقُّ عَلَى سَامِعِهِ بِصِيغَةِ الْجَزْمِ،
5- بَلْ قَالَ: {أَلَا تَأْكُلُونَ} عَلَى سَبِيلِ الْعَرْضِ وَ التَّلَطُّفِ،
كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ الْيَوْمَ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَتَفَضَّلَ وَ تُحْسِنَ وَ تَتَصَدَّقَ، فَافْعَلْ

فـــــ{قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾}

***تلطف في العبارة و عرض حسن حين رأى أيديهم لا تصل إليه،

(فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً)

*الميسر: أحسّ في نفسه خوفًا منهم

{قَالُوا لَا تَخَفْ }

و أخبروه بما جاؤوا له

***{فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ } [هود: 70]

{وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ}

*الميسر : وبشروه بأن زوجته «سَارَةَ» ستلد له ولدًا

وهو: إسحاق عليه السلام

*** {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}

[هود: 71] البشارة له هي بشارة لها

فلما سمعت المرأة البشارة

{فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ }

فرحة مستبشرة

{فِى صَرَّةٍ }

أي: صيحة

***و رنة-

و هي قولها [يا ويلتي]

{فَصَكَّتْ وَجْهَهَا }

و هذا من جنس ما يجري من النساء عند السرور و نحوه من الأقوال و الأفعال المخالفة للطبيعة و العادة

***لطمت تعجبا كما تتعجب النساء في الامر الغريب

{وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ }

أي: أنى لي الولد، و أنا عجوز،

1– قد بلغت من السن، ما لا تلد معه النساء، ومع ذلك،

2–فأنا عقيم، غير صالح رحمي للولادة أصلا

و قد كنت في حال الصبا لا أحبل

❍فثم مانعان، كل منهما مانع من الولد،

3–وقد ذكرت المانع الثالث في سورة هود بقولها:

{وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ} [هود: 72]

{قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ }

أي: الله الذي قدر ذلك و أمضاه، فلا عجب في قدرة الله تعالى

{إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ}

أي: الذي يضع الأشياء مواضعها،

و قد وسع كل شيء علمًا فسلموا لحكمه، و اشكروه على نعمته.

***عليم بما تستحقون من الكرامة

***حكيم في اقواله و افعاله

طرح العلماء سؤالاً عن شكل الكون: ما هو شكل كوننا الذي نعيش فيه؟ فبعدما اكتشفوا أن مجرتنا ليست هي الوحيدة في الكون، وجدوا أن الكون مليء بالمجرات، وأن هذه المجرات تصطف على ما يشبه خيوط النسيج!

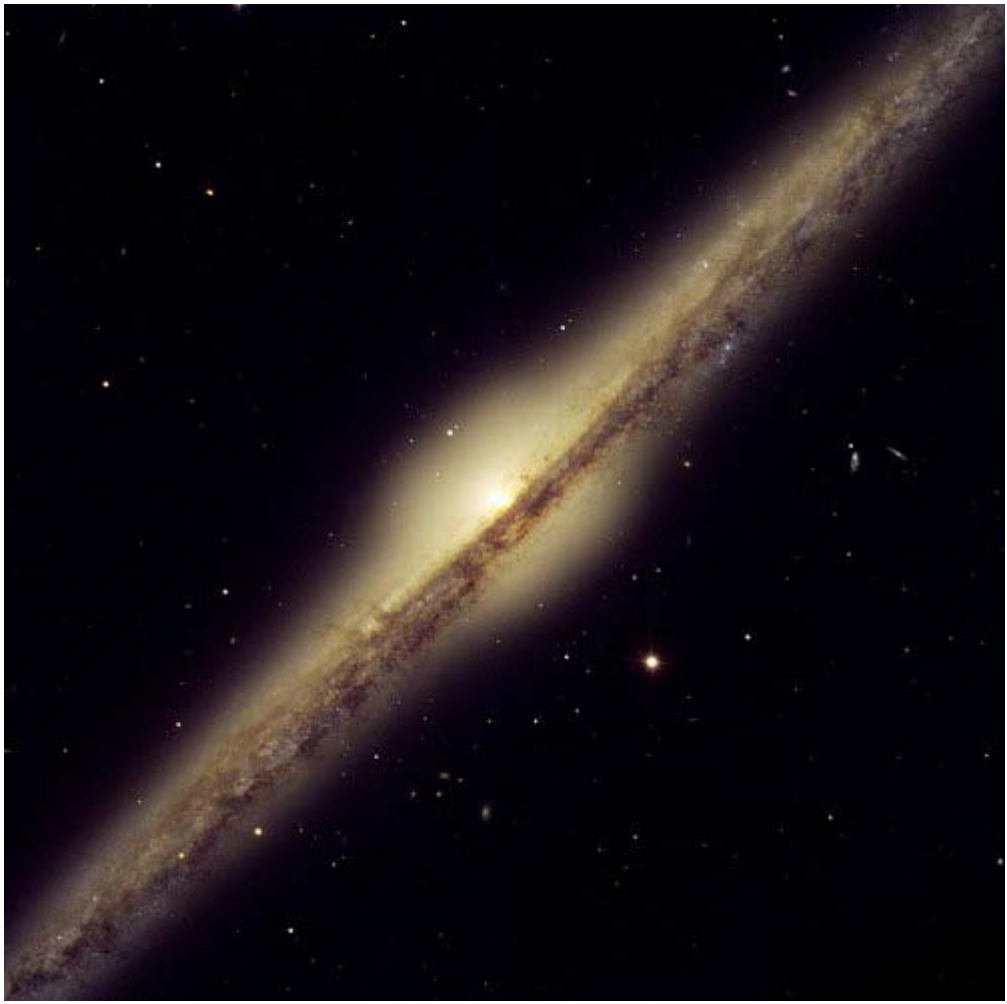

المجرة هي: تجمع من النجوم يحوي أكثر من مئة ألف مليون نجم، ومجرتنا هي مجرة درب التبانة وتحوي هذا العدد الهائل من

النجوم، ولو نظرنا إلى السماء في ليلة صافية فإن معظم النجوم التي نراها تنتمي إلى هذه المجرة ولكن هذه المجرة ليست هي الوحيدة في الكون إنما هنالك أكثر من أربع مئة ألف مليون مجرة!

هذه المجرات تتوضّع كما كان يعتقد العلماء عشوائياً يعني ظل الاعتقاد السائد أنها تتوضع عشوائياً وليس هناك أي نظام يربط بينها، ولكن في العام الماضي قام علماء من الولايات المتحدة الأمريكية ومن كندا ومن ألمانيا بأضخم عملية حاسوبية على الإطلاق كان الهدف من هذه العملية معرفة شكل الكون ولكن هذه المهمة تطلبت تصميم كمبيوتر عملاق هو السوبر كمبيوتر.

السوبر كمبيوتر هو جهاز كمبيوتر عملاق يزن أكثر من مائة

ألف كيلو غرام وهذا الجهاز يحتاج إلى مبنى ضخم وتكاليف باهظة والعجيب أن سرعة هذا الجهاز في معالجة المعلومات أو البيانات أنه ينجز في ثانية واحدة ما تنجزه الحاسبات الرقمية العادية في عشرة مليون سنة، فتأملوا معي ضخامة هذا الجهاز الذي سموه العلماء بـ (سوبر كمبيوتر).

لقد أدخل العلماء عدداً ضخماً من البيانات حول هذا الكون فأدخلوا بياناتٍ حول أكثر من عشرة آلاف مليون مجرة وبيانات حول الدخان الكوني وبيانات حول المادة المظلمة في الكون وبقي هذا الكمبيوتر العملاق وعلى الرغم من سرعته الفائقة بقي شهراً كاملاً في معالجة هذه البيانات وكانت الصورة التي رسمها للكون تشبه تماماً نسيج العنكبوت.

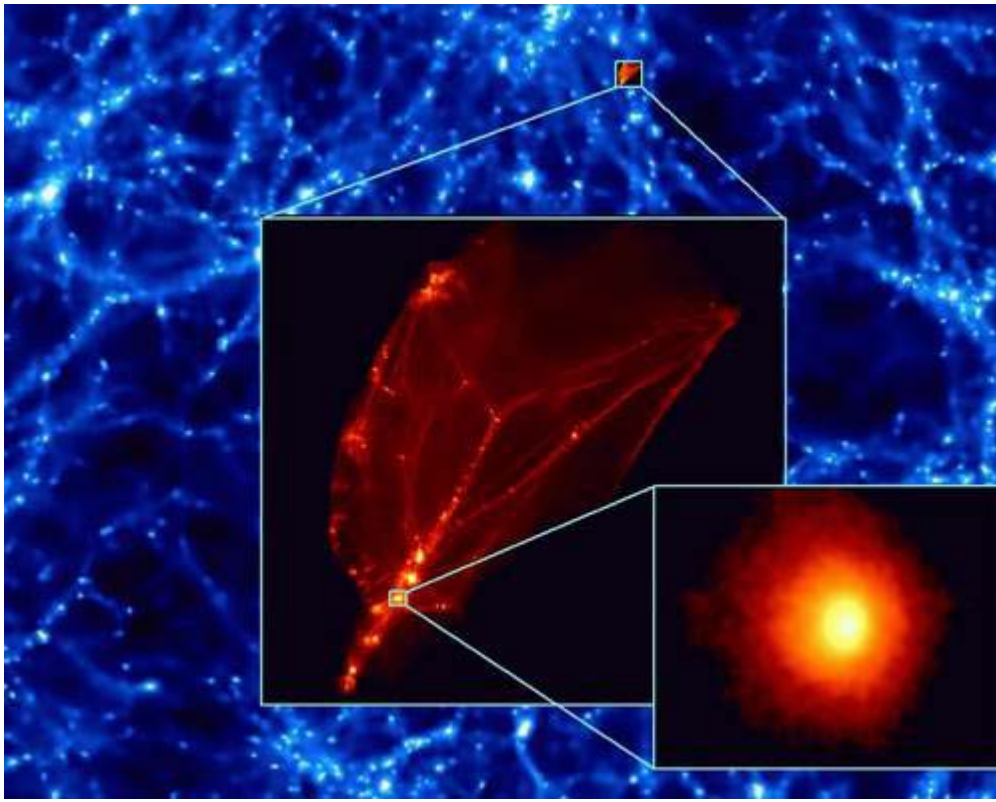

إن الذي يتأمل هذه الصورة وما فيها من نسيج محكم يلاحظ على الفور أن المجرات لا تتوضع عشوائياً إنما تصطف على خيوط طويلة ودقيقة ويبلغ طول الخيط الواحد مئات الملايين من السنوات الضوئية، عندما رأى العلماء هذه الصورة أدركوا على الفور وجود نسيج محكم في السماء فأطلقوا مصطلح (النسيج الكوني). بدأ العلماء بعد ذلك بدراسة تفاصيل هذا النسيج وبدؤوا يصدرون أبحاثاً ومقالاتٍ حول هذا النسيج ومن أهمها مقالة بعنوان(كيف حُبِكَت الخيوط في النسيج الكوني) وقد لفت انتباهي في هذا البحث أن هؤلاء العلماء يستخدمون الكلمة القرآنية ذاتها يستخدمون كلمة Weave باللغة الإنكليزية وهي تماماً تعني

حبك، وأدركت مباشرة أن هذه الآية تصوّر لنا تماماً هذا النسيج في قوله تعالى (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ).

يقول الإمام الزمخشري رحمه الله تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ : إذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبكه). إذاً الإمام الزمخشري تحدث عن نسيج تم حبكه بإحكام. والإمام القرطبي تناول هذه الآية أيضاً وقال فيها: (ألم تر إلى النساج إذا نسج الثوب فأجاد نسجه يقال منه حبَك الثوب يَحبِكُه حَبكاً أي: أجاد نسجه)، ولكن الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى له تفسير جميل وعجيب ويطابق مئة بالمئة ما يقوله اليوم علماء الغرب! فالإمام ابن كثير يقول:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ أي: حُبكت بالنجوم، ولو تأملنا المقالات الصادرة حديثاً عن هذا النسيج نلاحظ أن العلماء يقولون: إن الكون حُبك بالمجرات.

تحدث العلماء عن هذا النسيج طويلاً، ووجدوا بأن هذا النسيج هو نسيج مُحكم لأننا إذا تأملنا صورة النسيج الكوني نلاحظ أن لدينا كل خيط تتوضع عليه آلاف المجرات ولا ننسَ أن كل مجرة فيها مائة ألف مليون نجم وهي تبدو في هذه الصورة كنقطة صغيرة لا تكاد ترى فالنقاط الصغيرة في هذه الصورة النقاط المضيئة هي مجرات، ونلاحظ أن هذه المجرات تصطف على خيوطٍ دقيقة جداً وكل خيط يبلغ طوله ملايين بل مئات الملايين من السنوات الضوئية والسنة الضوئية!!

إن هذا النسيج يتحدث عنه علماء الغرب بقولهم إن خيوطه قد شُدّت بإحكام مذهل أي أنه نسيج وأنه محكم وهو أيضاً متعدد، يعني هذا النسيج الكوني لا يتألف من طبقة واحدة، إنما هنالك طبقات بعضها فوق بعض ولو تأملنا الصور التي رسمها السوبر كمبيوتر لهذا النسيج وما فيه من تعقيد وإحكام مُبهر نلاحظ أن الله تبارك وتعالى قد أحكم صناعة هذا النسيج بشكل يدلّ على أنه عز وجل قد أتقن كل شيء، كيف لا وهو القائل:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) [النمل:88].

السنة الضوئية: هي ما يقطعه الضوء في سنة كاملة، فالضوء يسير بسرعة تبلغ ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة، ففي سنة كاملة يقطع مسافة تساوي: سنة ضوئية واحدة. إن مجرتنا والتي تحوي أكثر من مائة ألف مليون نجم يبلغ قطرها أو طولها مائة ألف سنة ضوئية أي أن الضوء يحتاج حتى يقطع

مجرتنا من حافتها إلى حافتها مائة ألف سنة كاملة، فتأملوا كم يحتاج الضوء ليقطع الكون من حافته إلى حافته والعلماء يقدرون حجم هذا الكون بحدود ثلاثين ألف مليون سنة ضوئية، طبعاً هذا الكون المرئي وما بعد هذا الكون لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

لو تأملنا كلمة (الحُبُك) نلاحظ أنها تتضمن عدة معانٍ: الشد، والإحكام، والنسيج، وأيضاً تتضمن معاني الجمع لأن كلمة الحبك جاءت بالجمع وليست بالمفرد، يعني الله تبارك وتعالى لم يقل (والسماء ذات الحبيكة الواحدة) بل قال (الحُبُك) وكلمة الحبك هي جمع لكلمة (حبيكة) ولذلك فإن الله تبارك وتعالى قد جمع في كلمة واحدة عدة معانٍ لهذا النسيج، فالنسيج قد يكون محكماً أو هزيلاً وقد يكون قوياً وقد يكون ضعيفاً وقد يكون مفككاً أو مترابطاً، ولكن كلمة (الحبك) تعني النسيج المحكم، و(حَبك) تعني أنه أتقن وأحكم صناعة هذا النسيج وهذا ما يقوله العلماء اليوم يؤكدون أن النسيج الكوني ليس نسيجاً عادياً، إنما هو نسيج محكم وقد شُدّت خيوطه بإحكام.

ومن هنا نستطيع أن نستنج أن الله تبارك وتعالى قد أودع في كل كلمة من كلمات كتابه معجزة مبهرة، ففي كلمة واحدة هي كلمة (الحُبُك) تتجلى أمامنا معجزة عظيمة، هذه المعجزة العظيمة تتضح أمامنا من خلال أن الله تبارك وتعالى عبّر بكلمة واحدة عن حقيقة هذا النسيج، بينما العلماء يستخدمون كلماتٍ متعددة حتى يصلوا إلى النتيجة ذاتها.

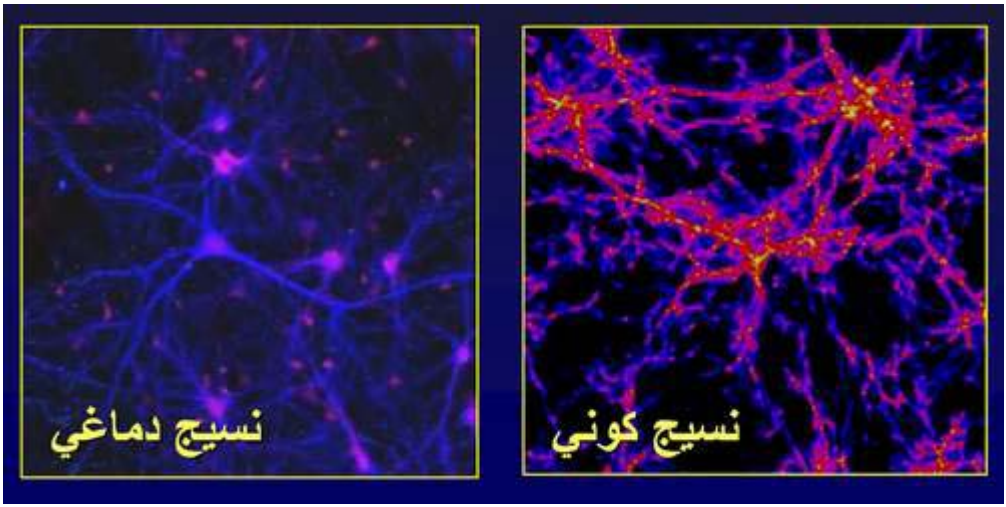

من الأشياء الغريبة التي لاحظتها أننا لو جئنا بمقطع من دماغ إنسان مثلاً وقمنا بتكبير خلايا الدماغ العصبية نلاحظ أن الصورة الناتجة صورة نسيج الدماغ تشبه تماماً صورة النسيج وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن الخالق واحد:

(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [الزمر:62].

لماذا ذكر الله تبارك وتعالى هذه الحقيقة في كتابه المجيد؟! نعلم أن علماء اليوم يندفعون باتجاه اكتشاف أسرار الكون ودافعهم في ذلك حب الفضول وحب المعرفة، ولكن القرآن لا نجد آية واحدة إلا ومن وراءها هدف عظيم. فلو تأملنا سلسلة الآيات في قوله تعالى:

{ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) [الذاريات:7-9] **والإفك هو الكذب، أي أن هؤلاء الذين يفترون على الله كذباً ويقولون إن هذا القرآن ليس من عند الله إنما كلامهم مضطرب ولا يستقيم أبداً، ولو تأملنا سلسلة الآيات نلاحظ أن الله تبارك وتعالى يقول بعد ذلك:**

(وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ* فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) [الذاريات:20-23].

وهنا نصل إلى الهدف من هذه الحقيقة الكونية:

(إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ)،

أي: أيها الملحدون المشككون بكتاب الله تبارك وتعالى كما أنكم لا تشكون أبداً في رؤيتكم لهذا النسيج المحكم، وكما أنكم لا تشكّون في أنكم تنطقون، كذلك ينبغي أن تدركوا وتتأكدوا أن هذا الكلام هو كلام الله تبارك وتعالى، لأنه لا يمكن لبشر أن يتنبأ بالبنية النسيجية للكون قبل أربعة عشر قرناً.

---

[1] E Papantonopoulos, *The Physics of the Early Universe*, Springer,2005.

[2] Volker Springel, Professor Carlos Frenk, Professor Simon White, *Millennium Simulation – the largest ever model of the Universe*, University of Durham, 2005.

[3] Matts Roos, *Introduction to Cosmology*, John Wiley and Sons, 2003.

[4] Robert Sanders, *"Dark matter" forms dense clumps in ghost universe*, University of California, 05 November 2003.

[5] Michael Rowan-Robinson, *Cosmology*, Oxford University Press, 1996.

[6] Malcolm S. Longair, *The Cosmic Century*, Cambridge University Press, 2006.

[7] Klapdor-Kleingrothaus, *Dark Matter in Astro- And Particle Physics*, Springer, 2003.

[8] Neil J C Spooner, Vitaly Kudryavtsev, *The Identification of Dark Matter*, World Scientific, 2001.

[9] *The Age of the Universe, Dark Matter, and Structure Formation*, Colloquium on the Age of the Universe St, National Academies Press, 1998.

[10] N Katherine Hayles, *Cosmic Web*, Cornell University Press, 1984.

[11] Robert A. Simcoe, *The Cosmic Web*, Americanscientist, Volume: 92 Number: 1 Page: 30, 1.30. 2004.

[12] Maggie McKee, Washington DC, *Mini-galaxies may reveal dark matter stream*, New Scientist, 12 January 2006.

[13] David Wands, *A brief history of cosmology*, www-history.mcs.st-andrews.ac.uk, March 1997.

[14] *Our own Galaxy - the Milky Way*, University of Cambridge, www.cam.ac.uk.

[15] BBC News Onlin, *Supercomputer to simulate bomb tests*, news.bbc.co.uk, 30 June, 2000.

[16] Palle Møller, Johan Fynbo, Bjarne Thomsen, ***A Glimpse of the Very Early Universal Web*****, European Southern Observatory, 18 May 2001.**

[17] Tim Radford, ***A duplicate universe*****, trapped in a computer, www.guardian.co.uk, June 2, 2005.**

[18] ***Biggest ever cosmos simulation*****, news.bbc.co.uk, 1 June, 2005.**

[19] Heather Hasan, ***How Mathematical Models, Computer Simulations and Exploration Can Be Used To Study The Universe*****, p134, The Rosen Publishing Group, 2005.**

[20] Manolis Plionis, Spiros Cotsakis, ***Modern Theoretical and Observational Cosmology*****, Springer, 2002.**

[21] J. Richard Bond, Lev Kofman & Dmitry Pogosyan, ***How filaments of galaxies are woven into the cosmic web*****, Nature 380, 603 - 606 ,18 April 1996.**

[22] Gemini, Subaru & Keck, ***Discover large-scale funneling of matter onto a massive distant galaxy cluster*****, www.gemini.edu, 30 June 2004.**